التوحيد

تأليف

صقر بن نزهان بن عبيد الروقي

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى في سورة آل عمران: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}

وقال تعالى في سورة النساء: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

وقال تعالى في سورة الأحزاب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

وبعد.

فقد اطّلعت على كتاب التوحيد، لشيخ الإسلام، ومفيد الأنام، ناصر السنّة، وقامع البدعة، من جلا الله به أوهام المشركين، وإلحاد المتكلمين، وكشف به ظلمات الجهل، وأنار به سبيل العلم، الإمام محمد بن عبدالوهاب، رضي الله عنه ورحمه، فوجدته فريداً في نوعه، مشتملاً على مسائل عِظام في التوحيد وتحقيقه، ولكنّي وجدت الإمام رضي الله عنه، قصّر في ذكر بعض الأدلة، وزاد بعض المسائل، فأردت بكتابي هذا أن استدرك ما فات الإمام من أدلة أو مسائل، وأحذف ما رأيت أن المصلحة في عدم ذكره في هذا الكتاب، فيكون كتاب الإمام لهذا الكتاب أصل وهو له فرع.

وقد جمعت في هذا الكتاب، ما يهم المسلم من معرفة التوحيد، الذي هو دعوة الأنبياء أجمعين، وأعلم أني لم ألتزم الصحّة في كل ما نقلته من الأحاديث، بل رويت الصحيح والحسن والمقبول، والمقبول عندي، هو ما وافق الكتاب والأحاديث الصحاح، وفيه دعوة إلى إخلاص الدين لله عز وجل، وكان في الأخذ به أخذ بالحزم والعزم، واحتياطا للدين، وإن كان في سنده ضعف.

والله الهادي إلى سواء السبيل، هو نعم المولى ونعم النصير.

باب توحيد الربوبية

الله رب كل شيء، ومعنى ذلك، أن الله عز وجل، مالك كل شيء، وخالق كل شيء، ومدبر شؤون ملكه وخلقه بأمره.

قال تعالى في سورة آل عمران: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

وقال تعالى في سورة الأنعام: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}

وقال تعالى في سورة الأعراف: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

وقال تعالى في سورة السجدة: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}

وقال تعالى في سورة الأنبياء: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}

قوله: {لَفَسَدَتَا} أي: السماوات والأرض.

وقال تعالى في سورة المؤمنين: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}

قلت: بيّن الله تعالى لنا، أنه لو كان هناك إله غيره، لدفعه حبّ التفرّد بالملك والسلطان، إلى الانعزال بخلقه، ولسعى إلى مغالبة الإله الأخر، ليخضعه لملكه

وسلطانه، مما يشغله عن رعاية خلقه، فيكون في ذلك هلاكهم، فتبيّن بذلك، أنه ليس هناك سوى إله واحد، ولذلك نرى الكون قائماً لم يدمّر.

فمن زعم أن هناك ربّاً أخر، أو أن لله عز وجل شريكاً في ملكه، أو خالقاً غيره، أو مدبراً يدبر الأمر معه، فقد أشرك الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله تعالى.

باب الغاية من خلق الجنّ والإنس

قال تعالى في سورة الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}

قال علي بن أبي طالب: ليعبدون، أي: ليوحدون.

رواه البخاري.

وقال تعالى في سورة الملك: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}

وقال تعالى في سورة المؤمنين: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}

باب الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

قال تعالى في سورة آل عمران: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

قال عبدالملك بن جريج في قوله: {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} أي: لا يطع بعضُنا بعضًا في معصية الله.

رواه الطبري.

وقال تعالى في سورة النساء: {وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}

عن عبدالله بن عباس قال: أي: وحّدوا.

رواه ابن أبي حاتم.

وقال تعالى في سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم، التي عليها خاتمه، فليقرأ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى قوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}.

رواه الترمذي في جامعه.

وقال تعالى في سورة الإسراء: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}

وقال تعالى في سورة النحل: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}

قلت: والطاغوت، هو كل من طغى العباد، أي: تجاوزوا الحدّ في تعظيمه، حتى جعلوه ندّاً لله تعالى، أي: جعلوه مثيلاً وكفواً لله تعالى في كمال صفاته، فصرفوا له شيئاً من العبادة، من الدعاء، أو الاستغاثة، أو الاستعانة، أو الاستعاذة، فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، أو الذبح له، أو النذر له، تقرباً إليه، لجلب نفع أو دفع ضر، لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله عز وجل، وكل من صرف شيئاً من ذلك لغير الله تعالى، فقد جعله ندّاً لله تعالى، وإن زعم أنه لم يجعله ندّاً لله، فإن الأفعال تفضح الحقائق، ولولا أنه لا يعتقد بأنه ندٌّ لله تعالى، ما صرف الدعاء له من دون الله، ولا تقرّب له بالذبح والنذر.

باب بيان الشرك

قال الله تعالى في سورة الشورى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

والكاف في قوله: {كمثله} للتوكيد.

ومعنى ذلك: أن الله تعالى لا يماثله شيء في كمال صفاته، والعرب تقول: ليس كمثل فلان أحد. يريدون بذلك التباين في كمال الصفات، بين فلان هذا وبين غيره من الناس، ولا يزال عرب الجزيرة العربيّة يقولون: فلان ما مثله أحد. و "ما" هنا بمعنى: ليس.

وفي هذه الآية الكريمة، دليل على أن الله تعالى، ليس له مثيل في كمال الصفات، ولن يهب هو سبحانه هذا الشرف لأحد من خلقه، لأنه لا ينبغي لأحد أن يكون كذلك، لا ملك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا وليّ صالح، لأنه قضى ألّا يكون أحدٌ مثيلاً له ولا كفئاً له ولا ندّ له في ذلك.

وقال تعالى في سورة الإخلاص: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

أي: ليس لله تعالى مكافئ من خلقه في كمال صفاته، والعرب تقول: فلانٌ ليس كُفئاً لفلان، أي: ليس مثيلاً له في كمال صفاته.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَألت، أو سُئِل، رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك".. الحديث.

رواه البخاري.

والنِدّ والكفء والمثيل، معانٍ مترادفة.

فالشرك أن تجعل لله نِدّاً ومثيلاً وكفئاً في كمال صفاته، وهذا هو أصل الشرك الأكبر.

ومن جاز أن يكون نِدّاً لله عزّ وجلّ، جاز أن يكون شريكاً لله تعالى في ملكه وخلقه وأمره وتدبيره.

ومثال ذلك، أنك ترى أن المخلوق قادر على جميع ما يقدر عليه الله تعالى، أو على بعض ما يقدر عليه الله تعالى، مما لا يقدر عليه إلّا الله تعالى في الحقيقة.

فمثلاً: أن تدعي أن المخلوق عنده من قوّة السمع، ما يقدر به على أن يسمعك وهو في مكان بعيد، أو وهو ميّت، ويعيش في عالم أخر.

أو تدعي أن المخلوق عنده من قوة البصر، ما يقدر به على أن يراك وهو في مكان بعيد، أو وهو ميّت، ويعيش في عالم أخر.

أو تدعي أن المخلوق عنده من قوة العِلم، ما يقدر به على أن يعلم بحالك، وهو في مكان بعيد، أو وهو ميّت، ويعيش في عالم أخر.

أو تدعي أن المخلوق عنده من القوة والقدرة، ما يقدر به على أن يغيثك أو يعينك أو يعيذك، وهو في مكان بعيد، أو وهو ميّت، ويعيش في عالم أخر.

أو تدعي أن المخلوق عنده من القوة والقدرة، ما يقدر به على أن يغيثك أو يعينك أو يعيذك، في أمر لا يستطيعه عامة المخلوقات، ولا يستطيعه إلا الله عز وجل، وإن كان هذا المخلوق حيّاً وحاضراً.

كل هذه الاعتقادات، تفيد أن العبد، قد جعل من المخلوقات من يماثل ويكافئ الله تعالى في كمال صفاته، التي لا يستحقها إلّا هو، وهذا هو الشرك الأكبر.

ويترتب على ذلك، صرف العبادة لغير الله تعالى، حبّاً لهذا المعبود، أو خوفاً منه، معتقداً فيه النفع والضر، سواء اعتقد المشرك أن هذا المعبود ينفعه أو يضره استقلالاً

من دون الله تعالى، أو اعتقد أنه ينفعه ويضره لما له من مكانة ووجاهة عند الله تعالى، فهو يصرف له شيئاً من العبادة، ليكون له شفيعاً ووسيطاً ووسيلةً عند الله تعالى، والنوع الثاني، هو الشرك الذي وقع فيه مشركو العرب قبل الإسلام.

قال تعالى في سورة يونس: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

وقال تعالى في سورة الزمر: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}

قال مجاهد بن جبر: "قريش تقوله للأوثان، ومن قبلهم يقوله للملائكة، ولعيسى بن مريم، ولعزير" اهـ

رواه الطبري.

قلت: وهذا دليل على أن دعاء الأحياء، سواء كانوا أحياء بأرواحهم وأجسادهم، أو أحياء بأرواحهم في الحياة البرزخيّة، هو كدعاء الأصنام والأحجار والأشجار، وفي هذا ردٌّ على مشركي المتكلمين والصوفية والرافضة، الذين يزعمون أن دعاء الأحياء من الملائكة والأنبياء والأولياء، سواء كانوا أحياء بأرواحهم وأجسادهم، أم أحياء بأرواحهم فقط، ليس كدعاء الأصنام والأحجار والأحجار، وأن دعاء الأحياء ليس شركاً، بل يستحبونه ويحثّون عليه، ويزعمون أنه أفضل من دعاء الله وحده، {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف]

وقال قتادة بن دعامة: قالوا: ما نبعدهم إلا ليقربونا؛ أي: ليشفعوا لنا عند الله. اهـ

رواه الطبري.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: قالوا: هم شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقربونا إلى الله زلفى يوم القيامة، للأوثان، والزلفى: القربى. اهـ

رواه الطبري.

وقال تعالى في سورة الزمر، منكراً على من يتخذ الشفعاء: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ}

وقوله: {أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ} أي: أن ما تدعونهم من دونه، وتتخذونهم شفعاء بيني وبينكم بزعمكم، لا يملكون شيئاً.

وهذا دليل على أن من لا يملك شيئاً لا يدعى من دون الله تعالى، ولا يكون شفيعاً بهذه الطريقة، ولا يعقلون، أي: لا يعقلون ما تقولونه من دعائهم، فضلاً عن أن يستجيبوا لكم! فتبيّن من خلال هذه الآية، أنه يجب فيمن يدعى أن يتوفر فيه شرطان: وهما: انفراده بالملك وأن يكون عاقلاً، وهاتان صفتان لا تليق إلا بالله، فتوجب أن لا يدعى إلا هو وحده لا شريك له، ولا يتخذ العباد بينهم وبينه شفعاء، يدعونهم من دونه، ويذبحون لهم، وينذرون لهم.

وقال تعالى في سورة الأنعام: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}

وقال تعالى في سورة الروم: {وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ}

قلت: وذلك يوم القيامة، إذا انزاح الباطل عن أولئك المشركين، وعلموا سوء عملهم، وتبرأت منهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، وتبرأ منهم الأنبياء والأولياء،

بل وتبرأ منهم طواغيتهم الذين كانوا يدعونهم لعبادتهم من دون الله تعالى، ويقدمون لهم أنفسهم على أنهم أولياء صالحين، وبررة متقين.

فإن قيل: كيف أميِّز بين قوة وقدرة الله تعالى وبين قوة وقدرة المخلوق؟

فالجواب على ذلك: أن تنظر في عامة الناس، فما لا يقدر عليه عامة الناس، فإن الملائكة والأنبياء والأولياء والمشايخ والجن لا يقدرون عليه، فضلاً عن الأشجار والأحجار.

ويُبيِّن ذلك، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنكي من الله شيئا، سليني من مالي ما شئتِ".

رواه البخاري ومسلم.

فمعنى قول النبي، أنه لا يقدر إلا على ما يقدر عليه المخلوقون عادة، فما لا يستطيعه أي مخلوق، فإن النبي لا يستطيعه، إنما يملك النبي أن يشفع للناس بدعائه فقط، فيدعو الله لهم إذا كان حياً؛ وهذا شرط؛ لأنه لا يتصور بالعقل أن النبي يسمعنا وهو ميّت أو يسمعنا وبيننا وبينه مسافة بعيدة أو هو في عالم ونحن في عالم أخر.

وهذا النوع من الشفاعة، وهو الدعاء للناس، يقدر عليه كل أحد، وليس الأنبياء وحسب، وكما قلنا أن الأنبياء لا يقدرون إلا على ما يقدر عليه عامة الناس عادة، إلا أن دعاء الأنبياء أحرى أن يستجاب، لأنهم أصفياء الله من خلقه، بينما غيرهم، نسبة استجابة الله لدعائهم أقلّ.

مع الأخذ في الاعتبار، الفارق بين هذه المخلوقات في قوتها وقدرتها، فهذه المخلوقات بعضها أكمل من بعض، ولكن جميعها تبقى قوتها وقدرتها قوة وقدرة مخلوق، تكون في أشياء معيّنة ومحدودة.

فإن قال قائلٌ: إن الله تبارك وتعالى منح الأنبياء والأولياء كمال الصفة في لسمع والبصر والعِلم والقوّة والقدرة، فهم يسمعون دعائنا وإن كانوا في مكان بعيد أو وهم أموات وفي عالم أخر، ويبصروننا بأبصارهم، ويعلمون بحالنا، وقادرون على إجابة دعوتنا وإغاثتنا وإعانتنا وإعاذتنا في جموع الأمور، وذلك بإذن الله تعالى، حتى فيما لا يقدر عليه عامّة الناس.

فالجواب: أن ما ادعاه هذا المدّعي، من أن الله تعالى، هو من منح الأنبياء والأولياء، كمال الصفة في السمع والبصر والعلم والقوة والقدرة، شيء لا يمكن إدراكه بالعقل الصحيح ولا بالفطرة السليمة، ولا يمكن إدراكه إلا بالخبر من الله تعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، ما يدل على صحّة قوله، بل الأدلة قاطعة بخلاف ذلك، وهو أنه لا يمكن أن يكون أحد مثيلاً وكفواً وندّاً لله عز وجل، فلم يبقى إلا أن نقول عن هذا المدعي، أنه من المفترين على الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك تجد أئمة الإسلام حقاً وصدقاً وضعوا شروطاً لهذا الدعاء المباح، ليتميّز عن الدعاء الشركي، وهي:

أولها: أن يكون المدعو حياً لا ميتاً.

وثانيها: أن يكون حاضراً لا غائباً، أو ما يقوم مقام ذلك، كالرسائل.

وثالثها: أن يكون في أمر من أمور الدنيا التي يستطيعها البشر عادة.

فالميّت والغائب، لا يمكن أن يسمعك إذا ناديته، ولا أن يراك، ولن يعلم عن حالك شيئاً، ففي جميع الأحوال لا يجوز دعاء الميّت والغائب، سواء فيما يستطيعه المخلوق، أو فيما لا يستطيعه إلا الله تعالى، لأنك بذلك جعلت المخلوق ندّاً لله تعالى في كمال سمعه وبصره وعلمه وقوّته وقدرته على غوثك أو اعانتك أو اعاذتك.

كما أن المخلوق لن يستطيع أن يغيثك أو يعينك أو يعيذك إلا فيما يقدر عليه المخلوقون عادة من أمور الدنيا، لذلك لا يجوز دعاء المخلوقين في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، حتى لو كان حيّاً وحاضراً، لأنك لو فعلت ذلك، فقد جعلته ندّاً لله تعالى في قوّته وقدرته على غوثك أو اعانتك أو اعاذتك.

وكل هذه المسائل مدركة بالعقل الصحيح والفطرة السليمة، وهو أن العبد، قادر على التمييز بين ما يستطيعه عامة الناس وما لا يستطيعونه، وأن الميّت والغائب لا يمكنهما أن يسمعاك أو يبصراك أو يعلمان عن حالك شيئاً، كما يدرك بالعقل الصحيح والفطرة السليمة أن المخلوقين لا يمكن أن يغيثوك أو يعينوك أو يعيذوك إلا فيما يقدر عليه المخلوقون عادة من أمور الدنيا، فكيف تدعوهم في غير ذلك!

فإذا وجدت شخصاً يدعوا مخلوقاً فيما يستطيعه عامة المخلوقات عادةً، وبالشروط التي ذكرناها أعلاه، فهذا من الدعاء المباح، وإن وجدت شخصاً يدعو مخلوقاً فيما لا يستطيعه عامة المخلوقات عادةً، فاعلم أن هذا من الدعاء الشركي، الذي لا يغفره الله تعالى، لأنه جعل لله تعالى مثيلاً وكفواً وندّاً في قوّته وقدرتهِ.

باب حكم الشرك

قال تعالى في سورة النساء: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}

وقال في سورة النساء أيضاً للتوكيد: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}

وقال تعالى في سورة المائدة: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، أمر بلالا فنادى في الناس: "أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة".

رواه مسلم.

قلت: وبهذا نعلم أنه من مات على الشرك الأكبر، فهو خالد مخلّدٌ في النّار، عياذاً بالله تعالى من غضبه.

باب شرك الدعاء

وهو أعظم أنواع الشرك.

عن النعمان بن بشر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة". ثم قرأ قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر].

رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

قلت: إذا كان الدعاء هو العبادة، فإن الشرك فيه، هو أعظم أنواع الشرك وأخطرها، وهو الشرك الذي وقع فيه مشركوا العرب قبل الإسلام، ووقع فيه كثير من المتكلمين والرافضة والصوفية، فاعلموا أن الأرزاق ملك الله، فلا تسألوها إلا من الله، والغنى والفقر، والنصر والهزيمة، والصحة والمرض، والعافية والبلوى، والسعادة والشقاوة، والهداية والضلالة، والجنّة والنّار، كلها ملك الله عز وجل، فلا يهب الغنى والنصر والصحة والعافية والسعادة والهداية والجنّة، سوى الله، فلا تسألوها إلّا من الله، ولا يدفع الفقر والهزيمة والمرض والبلوى والشقاوة والضلالة والنّار، سوى الله، فلا تسألوا دفعها إلّا من الله، فمن سأل شيئاً من ذلك، ملكاً مقرّبا، أو نبيّاً مرسلا، أو وليّاً صالحا، أو إنسياً، أو جنّيّاً، فضلاً عن الأحجار والأشجار، فقد وقع في الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله تعالى، إلا إذا شاء.

وليس كل دعاء شرك، فالعرب تسمّي النداء: دعاء. كقولنا: يا زيد أفعل، ويا زيد لا تفعل، ونحو ذلك.

وكذلك دعاء الناس بعضهم بعضاً، عندما يستغيث ويستعين ويستعيذ بعضهم ببعض، فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا، مثل أن يدعو رجُلاً ليعينه على حمل شيء

ثقيل، أو يدعو الطبيب ليعالجه، أو يدعو رجلاً لينصره على عدوه، فيقاتل معه بنفسه أو برجاله، أو يدعو آدميّاً ليعينه بشيء من ماله.

هذا كله مباح، لأن المخلوق يقدر عليها.

وإنما يكون الدعاء شركاً، إذا صرف لغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. أو صرف لغير الله تعالى في حال يكون فيها هذا المدعو عاجزاً عن سماعك أو رؤيتك أو العِلم بحالك. كأن يكون في مكان بعيد، أو يكون ميتاً، ويعيش في عالم أخر، حتى لو كان ما تدعوه إليه، مما يقدر عليه المخلوقون عادة، فإذا كان المدعو في مكان بعيد، أو ميِّت، فلا يجوز دعاءه بحال، فهنا يكون الدعاء شركاً، ويكون عملك عبادة شرعية، لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

ضابط العبادة

العبادة في معناها اللغوي، تختلف عن العبادة في معناها الشرعي.

فالعبادة لغة: هو كل عمل فيه خضوع وخنوع وذِلَّة.

والعبادة شرعاً: هو كل عمل فيه خضوع وخنوع وذِلَّة، ويجب أن لا يصرف لغير الله تعالى.

وهذا هو ضابط العبادة الشرعيّة.

فالعبادة في معناها اللغوي، هي كعبودية الشعوب لملوكها، والرجل لوالديه، والعبيد لأسيادهم.

وأما العبادة الشرعيّة، فهي أن تتعبد لله تعالى وحده لا شريك له، بأعمال لا يجوز أن تصرفها لغيره. كأن تدعو الله تعالى في أمر لا يستطيعه إلا هو سبحانه، أو تذبح لله وتنذر له، لتتقرب له، لقضاء حاجة لا يستطيع قضاءها إلا هو سبحانه، أو تعبد الله تعالى بأعمال أمرك أن تعبده بها، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، ونحو ذلك، ويشمل ذلك الأعمال القلبية، فتجعل حبك لله أعظم الحب، وخوفك منه أعظم الخوف، ورهبتك منه أعظم الرهبة، وخشيتك منه أعظم الخشية، ورجاءك له أعظم الرجاء. فلا تجعل لله تعالى مثيلا ولا كفواً ولا نِدّاً في ذلك كله، فإن صرفت شيئاً من ذلك لغير الله تعالى، فقد وقعت في الشرك الأكبر.

فضابط العبادة له شرطان:

الأول: أن يكون العمل يراد به الخضوع والخنوع والذُلّ.

والثاني: أن لا يجوز صرفه لغير الله تعالى.

ولذلك، فإن العلماء الذين اشترطوا في دعاء المخلوق ليكون مباحاً، أن يكون المخلوق حيا لا ميتا، وحاضرا لا غائبا، وأن يكون دعاءه فيما يقدر عليه المخلوقون عادة من أمور الدنيا، كانوا مصيبين في ذلك، وقد دلّ هذا على أن الله تعالى رزقهم الفهم العميق لهذه المسألة.

باب النهي عن شرك الدعاء

قال تعالى في سورة الجنّ: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}

قال قتادة بن دعامة: كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم، أشركوا بالله، فأمر الله نبيّه، أن يوحّد الله وحده.

رواه الطبري.

وقال عكرمة: المساجد كلها.

رواه الطبري.

وقال تعالى في سورة الأنعام: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}

وقال تعالى في سورة غافر: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

قلت: فالله تعالى يأمرنا في هذه الآيات، أن نفرده بالدعاء، ولم يقل: ادعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، أو المشايخ، أو ادعوا النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحداً من أهل بيته، بل أمرنا بدعائه وحده لا شريك له، وإنما يراد بالدعاء هنا، الدعاء الذي لا يجوز أن يصرف لغيره، كما بيّنته سابقاً، فوجب الخضوع لأمره، والتسليم لحكمه.

باب النهي عن الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة بغير الله تعالى

والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة هي الدعاء.

قال الله تعالى، موجهاً عباده المؤمنين، في سورة الفاتحة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه: قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} إياكَ نُوحِّد ونخاف ونرجو، يا ربَّنا لا غيرك. وقوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

رواه ابن أبي حاتم.

وعن قتادة قال: "يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أمركم".

رواه ابن أبي حاتم.

وقال تعالى في سورة آل عمران: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}

وقال تعالى في سورة الأنفال: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ}

وقال تعالى في سورة الأعراف: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}

قلت: والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة من الدعاء، وهذه هي صفات المؤمنين المخلصين من عباد الله تعالى، لا يستغيثون، ولا يستعينون، ولا يستعيذون، إلّا بالله تعالى في جميع أمورهم، ولا يعني قولي أن نفرد الله تبارك وتعالى بالاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، أن نبطل الأسباب التي خلقها الله لنا، لنتسبب بها، فإن الاستغاثة

والاستعانة والاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق من أمور الدنيا جائز شرعاً وعقلاً، ولكن تؤمن إيماناً صادقاً، أن هذه الأسباب، لا تنفع ولا تضرّ، إلّا بإذن الله تعالى، فإذا يسّر الله لك شيء، يسّر لك أسبابه، وإذا منع عنك شيئاً منع عنك أسبابه.

باب أن النبي لا يملك لأمّته نفعاً ولا ضرّاً

قال الله تعالى في سورة الجنّ: {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أنزل الله عزّ وجلّ: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} قال: "يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبدمناف، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبدالمطّلب، لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفيّة عمّة رسول الله، لا أغني عنكِ من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكي من الله شيئا".

رواه البخاري.

قلت: وفي هذا الحديث فائدتنا عظيمتان:

أولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يقدر على نفعنا أو ضرّنا، إلّا فيما يقدر عليه عامّة الناس، فما لا يقدر عليه عامّة الناس، فإن النبي لا يقدر عليه، والدليل قوله: "سليني ما شئتِ من مالي" أي: أنه لا يقدر على اغاثتها أو اعانتها أو اعاذتها، إلّا فيما يقدر عليه عامّة الناس فقط.

وثانيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خليل الرحمن، وصفوته من خلقه، وخاتم أنبياءه، وسيّد الأولين والأخرين، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً، في حياته، فكيف بعد مماته! وما بالكم بمن هو دونه صلى الله عليه وسلم، من الأنبياء، والأولياء، والمشايخ، والرؤساء، هل يعقل أن يملكوا لنا ما لا يستطيع نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يملكه لنفسه ولا لغيره؟!

باب ذم الله عز وجل للمشركين في دعائهم غيره

قال الله تعالى في سورة الحج: {يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}

وقال تعالى في سورة الأحقاف: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}

قلت: وفي هذه الآية، أعظم دليل، على أن من لا يستطيع أن يخلق شيئاً، ولا يملك مع الله شيئاً، لا يستحق العبادة، ولا يستحق أن يدعى من دون الله تعالى، أيّاً يكن هذا المدعو، لا ملك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا وليٍّ صالح، فضلاً عن الأشجار أو الأحجار.

وفيه يطالب الله تعالى، المشركين، الذين يدعون الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو الجنّ أو الأشجار أو الأحجار، بأن يأتوا بالدليل على جواز دعائهم غيره، فقال تعالى: {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

وفي هذا دليل على أن من عمل عملاً من العبادات، لم يكن عنده فيه خبر عن الله أو رسوله، أنه غير معذور فيه.

وقد ثبت بالعقل الصحيح والفطرة السليمة أن المخلوق قدرته قدرة مخلوق، حتى لو كان هذا المخلوق ملاكاً أو نبيّاً أو وليّاً أو شيخاً أو جنّيّاً، فالميّت والغائب، لا يمكن أن يسمعنا أو يبصرنا أو يعلم بحالنا، كما أن الحيّ الحاضر، لا يقدر على إعانتنا إلا فيما يقدر عليه المخلوقون عادة من أمور الدنيا.

باب بيان الأحاديث التي يحتج بها المبتدعة في جواز الشرك بالله تعالى في الدعاء

اعلم أن للمبتدعة، حجج لتقرير شركهم بالله تعالى، يظن الجاهل، الذي لم يعطى حظا من العقل والعلم، إذا سمعها أو قرأها أول مرة، أن القوم على شيء، وليسوا على شيء، إنما يحتالون بها للتغرير بالناس، وإيقاعهم في الشرك، وهم لم يجتهدوا في البحث عما يشرعنوا به شركهم، ليوقعوا الناس في الشرك، حبا في الشرك، وإنما ليتوصلوا بذلك إلى منفعة يصيبونها من منافع الدنيا، من جاه أز مال، فبعضهم يحتال للوصول إلى الجاه والمال، والبعض يريد الجاه دون المال، وليس هذا حال هؤلاء المشركين فقط، فوالله إن بعض من يتمسك بالتوحيد، إنما يتمسك به، ويتعصب له، لأنه ينال بتمسكه به وتعصبه له منفعة من منافع الدنيا، من جاه أو مال، لأن البيئة التي يعيشها تحتم عليه ذلك، فالصولة في البيئة التي يعيش فيها لأهل التوحيد، ولو تبدلت الأحوال، وتغيرت الآمال، وصارت الصولة لأهل الشرك والإلحاد، لانقلب على وجهه، وارتكس على عقبه، وبدلب التوحيد بالشرك، والسنة بالبدعة، لأن دينه لا يريد به وجه الله، بل يريد به وجه الدنيا وزينتها وزخرفها، ولكن هذه الصفة، ليست صفة سائدة في الموحدين، ففي الموحدين أقوام لا يبتغون بإيمانهم وأعمالهم سوى وجه الله عز وجل، ولكنها صفة سائدة في المبتدعة.

فأردت أن أورد ما احتجوا به من الأحاديث والآثار، وبيان ضعفها، وبطلان استدلالهم بها، لأكشف لطُلاب الحق والحقيقة الأمر، وليكونوا من هذه الشبهات على حذر.

فأقول مستعينا بالله تعالى وحده لا شريك له:

الحديث الأول: روي عن عمر رضي الله عنه قال لأويس القرني: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من

مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي. فاستغفر له.

والجواب: ليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بأن يسأل المغفرة من أويس القرني، وإنما أمره أن يطلب منه أن يسأل الله تعالى أن يغفر له، ثم عمر سأل من أويس أن يسأل الله له المغفرة، ولم يسأل المغفرة من أويس، فشتان بين من يسأل ممن يعتقد فيهم الصلاح أن يدعوا الله له، ومن يدعوهم من دون الله تعالى! فليس في هذا الخبر حجة للصوفية.

كما أن في هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز دعاء الغائب، فالنبي صلى الله عليه وسلم، أمر عمر بن الخطاب، أن يطلب من أويس ذلك إذا قدم أويس من اليمن، فلو كان دعاء الغائب جائزاً، لأمره النبي أن يسأل أويساً في وقته، دون الحاجة لأن ينتظر أويساً حتى يقدم من اليمن!

والحديث الثاني: عن ربيعة بن كعب الأسلمي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أهل الصفة، قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال: سلني فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: أَوَ غير ذلك؟ قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

والجواب: أن ربيعة هنا، يدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئا، ولا يقدر على نفعه أو مضرته، كما قال تعالى في سورة الجن: {قُلْ إِنِي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِني لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا} وقول النبي في الحديث الصحيح: "يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنكي من الله شيئا". أي: أنني لا أستطيع أن أعينك إلا فيما يطيقه المخلوقون عادة من إعانة بعضهم بعضا من أمور الدنيا، فما لا يستطيعه آحاد الناس فإن الأنبياء فضلا عن الأولياء لا يقدرون عليه ولا يستطيعونه.

ويعلم الصحابي، أن النبي لا يملك له إلا الدعاء، بأن يشفع له عند الله تعالى ويرجوه أن يجعل ربيعة رفيقه في الجنة، ونجد هذا البرهان ما ثلا أمامنا في خبر توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما، كما قدمنا، ولذلك سأله مرافقته في الجنة والنبي حي يرزق، يدرك بذلك أن النبي سوف يقوم بالدعاء له والشفاعة فيه، ويرجو الله له أن يجعله رفيقا له في الجنة، ولذلك نجد النبي يقول له: "أعني على نفسك بكثرة السجود" أي: أنني سوف أدعو لك، ولكن يجب أن تعينني أنت أيضا على ذلك بكثرة الصلاة، حتى أجد لك عذراً عند الله في أن تكون رفيقي في الجنة، حتى يقبل الله دعائي لك وشفاعتي فيك.

وانظر إلى ضعف النبي صلى الله عليه وسلم أمام الله تعالى، فهو يعلم أن ربيعة بن كعب إذا لم يعمل بالأسباب التي تعينه على الوصول إلى غايته، فإن دعاءه لن ينفع ربيعة بشيء، فأين ما يقوله أولئك المبتدعة، من أن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يرد له طلب، وها هو هنا، يشير إلى ربيعة بأنه إن لم يقم بالأسباب التي تجعل الله يقبل دعائه له، وإلا فإن فرصته في تحقيق أمنيته ضعيفة جدا، وكيف يزعم هؤلاء المبتدعة أن الله تعالى لا يرد للنبي طلب، لما له من مكانة عظيمة عند الله تعالى، والله يقول في محكم التنزيل: {إِنكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنِ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ويقول تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذبَهُمْ فَإِنهُمْ ظَالِمُونَ} ولكن هؤلاء المبتدعة، همهم نقض الإسلام باسم الإسلام، بتظاهرهم بتعظيم النبي والصالحين، والنبي وصالحي عباد الله برءاء منهم ومن شركهم، فيدسون لك الشرك الأكبر تحت ستار الإسلام، وتعظيم النبي والصالحين، ليخرجوا الناس من الإسلام، {هُمُ الْعَدُو فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللهُ ۖ أَنىٰ يُؤْفَكُونَ}

والحديث الثالث: عن أبي صالح عن مالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء رجل إلى

قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا نبي الله استسق الله لأمتك. فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ائت عمر، فأقرئه السلام، وقل له: إنكم مسقون، فعليك بالكيس، الكيس، قال: فبكى عمر، وقال: يا ربي ما آلو إلا ما عجزت عنه.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في التاريخ الكبير مختصرا، والخليلي في الإرشاد.

والجواب: أننا لو سلمنا بصحة هذا الخبر، فهل رأيتم الرجل يدعو النبي ويقول يا رسول الله اسقنا. يا رسول الله ارزقنا. يا رسول الله اعفوا عنا. يا رسول الله اغفر لنا. يا رسول الله أدخلنا الجنة؟ أم قال: يا نبي الله استسق الله لأمتك؟!

فليس في هذا الخبر دليل على جواز دعاء النبي من دون الله تعالى، وغاية ما يدل عليه هذا الحديث، أنه كما يجوز أن نسأل من النبي أن يدعو لنا وهو حي يجوز أن نسأل منه أن يدعو لنا وهو ميت، هذا كل ما يفيده الخبر، وهو بخلاف ما يقوم به أهل البدع الذين يدعون النبي من دون الله تعالى، فشتان بين من يسأل من النبي أن يدعو الله له، وبين من يدعو النبي من دون الله تعالى.

مع أن هذا الخبر ضعيف، ولا تقوم به حجة، فقد قال النقاد لا يسلم سنده من علة:

العلة الأولى: جهالة حال مالك الدار، وقول الخليلي في الإرشاد بأنه تابعي أثنى عليه التابعون، فيه نظر فمن الذي أثنى عليه؟! فالخليلي توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة، ولم يذكر من أثنى عليه! وبالتالي فمالك الدار غير معلوم العدالة والضبط وهذان شرطان أساسيان في قبول روايته.

والعلة الثانية: أن الخبر على الأرجح مرسل، ولم يصله سوى الخليلي في الإرشاد، ولكنه قال بعد ذلك: "يقال: إن أبا صالح سمع مالك الدار هذا الحديث والباقون

أرسلوه". ويقال صيغة تمريض، فالخبر مشكوك في اتصاله، والأثبت أنه مرسل، لأن الأكثرية أرسلوه.

وفي رواية سيف بن عمر الضبي، أن هذا الرجل الذي جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، هو بلال بن الحارث المزني، وسيف متهم بوضع الأحاديث، وقد رُمي بالزندقة.

والحديث الرابع: عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.

والجواب: وهذا الحديث ليس فيه جواز دعاء الأنبياء والأولياء من دون الله تعالى، فالفاروق هنا نجده يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى، فيقول: "اللهم" إلى أخر دعائه، فالفاروق دعا الله وحده، ثم توسل أي: توجه بالعباس بن عبدالمطلب، لقرابته من النبي، ولصلاحه، فهنا الفاروق لم يدعو العباس بن عبدالمطلب، ولم يسأله أن يسقيهم، بل سأل السقيا من الله تعالى، وتوسل إلى الله بالعباس، أن يدعو الله لهم، كشفيع ليجيب دعائهم.

وفي حديث أبي صالح: فلما صعد عمر ومعه العباس المنبر، قال عمر، رضي الله تعالى عنه: اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبيك وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ثم قال: قل يا أبا الفضل، فقال العباس: اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، فاسقنا الغيث.

فيتضح من حديث أبي صالح، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، إنما أراد بتوسله بالعباس أن يدعو لهم، لذلك قال للعباس: "قل يا أبا الفضل" أي: أدع لنا. فدعا لهم العباس رضي الله عنه، فسقاهم الله تعالى.

ويتضح من هذا الخبر أيضا، أن الفاروق عمر لم يتوجه بالدعاء إلى النبي ولا استغاث به، ولم يقل: يا رسول الله أنزل علينا الغيث، أو انصرنا، أو اشفنا، ونحو ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، بل ولم يتوجه بالنبي ليدعو لهم الله، كما ورد في حديث بلال بن الحارث، ولو كان هذا مباحا أو مندوبا اليه لما احتاج إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل بدعائه إلى الله تعالى! بل توجه بعمّ النبي صلى الله عليه وسلم، توجه بالعباس بن عبدالمطّلب.

والحديث الخامس: عن عثمان بن حنيف، أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرت ذاك، فهو أعظم لأجرك، وإن شئت دعوت الله؟ فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى، اللهم فشفعه في .. الحديث.

والجواب: أن الضرير لم يدعو النبي صلى الله عليه وسلم من دون الله تعالى، ولم يسأل من النبي أن يرد إليه بصره، بل الحديث من أوله إلى أخره ينقض ما يدعيه هؤلاء المشركون من جواز دعاء النبي والولي من دون الله تعالى، فالأعمى سأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له، ولم يدعو النبي من دون الله، ولم يسأله أن يرد عليه بصره، ويتعلل بما يتعلل به المشركون من أنهم إنما يريدون بدعائهم النبي من دون الله تعالى، أن يدعو النبي لهم الله، فتلك مجرد حيلة ليدفعوا بها عن أنفسهم التهمة، ولكي لا يفتضح أمرهم وكفرهم، وليس هذا بنافعهم شيئا، ثم النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأعمى أن يدعو الله تعالى، ولم يقل أدعني من دون الله، واسألني أن أرد عليك بصرك! بل قال أدع الله، وتوجه بي عليه، واسأله أن يقبل شفاعتي عندما أتوجه إليه من أجلك ليقبل شفاعتي فيك، فانظروا كيف أن النبي يدرك ويخبر الأعمى أنه ربما يشفع

للأعمى عند الله، ولكن الله تعالى قد لا يقبل شفاعته فيه، فأرشد الأعمى أن يسأل الله تعالى أن يقبل شفاعة نبيه فيه! وهؤلاء الحمقى المشركون، يظنون أن النبي هو بنفسه قادر على النفع والضر، لما له من مكانة ووجاهة عند الله تعالى!

وفي رواية عن عثمان بن حنيف، أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك فقال: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل لتقضى لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال عثمان له ثم أتى عثمان بن عفان، فجاء البواب فأخذه بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه على الطنفسة فقال: ما حاجتك، فذكر له حاجته فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال له: ما كان لك حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أو تصبر فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي: ائت الميضئة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات، قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط.

وهذا الخبر لا يختلف عن سابقه، وقصار ما يدل عليه أنه كما أنه يجوز لنا أن نتوجه بالنبي في دعائنا لله تعالى وهو حي، فيجوز لنا أن نتوجه به في دعائنا لله تعالى وهو ميت، لكن لا يوجد فيه ما يدل على إجازة دعاء النبي من دون الله تعالى بأي حال من الأحوال.

مع كون هذا الحديث بهذه الزيادة – وهي خبر الرجل الذي أراد الدخول على عثمان بن عفان رضي الله عنه – ضعيف فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير، وفيه اسنادها شبيب بن سعيد، ضعيف، وقد صحح المحدثون رواية شبيب إذا كان يروي عن يونس بن زيد ويروي عنه ابنه أحمد، ولم يتوفر هذان الشرطان في هذه الرواية، فالراوي عن شبيب في هذا الخبر يدعى ابن وهب، وقد تكلم في روايته عنه، والذي روى عنه شبيب هذا الخبر ليس يونس بن زيد بل رواه مرةً عن عمير بن يزيد ومرةً عن روح بن القاسم، وقد رواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم هذا به بدون ذكر القصة المزعومة، وعون هذا وإن كان ضعيفا فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية المحدثين الأثبات، فقد رواها الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة والحاكم والنسائي وعبد بن حميد بدون خبر عثمان بن حنيف مع الرجل الذي أراد الدخول على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فالخبر الذي رواه الطبراني والأصبهاني ضعيف الإسناد، بسبب شبيب هذا، كما أنه منكر المتن، من حيث أنه لم يرو هذه القصة المطولة المزعومة أحد ممن روى حديث عثمان بن حنيف من المحدثين الثقات المشهورين.

والحديث السادس: عن عبدالرحمن بن سعد الكوفي والهيثم بن حنش وأبي شعبة، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله، فقال له رجل: أذكر أحب الناس إليك، أو أدع، بمعنى أذكر، فقال ابن عمر: محمد، وفي رواية: يا محمد، فذهب ما يجد من الخدر في قدمه.

والجواب: أن هذا الحديث ضعيف، فالكوفي والهيثم وأبي شعبة، ثلاثتهم مجاهيل، ومع ضعف سند هذا الحديث، إلا أن قصار ما في هذا الحديث أن الرجل إذا ذكر أحب الناس إليه، ثار الدم في جسده، وجرى في عروقه، فيذهب ما يجد من الخدر في جسمه.

ومما يدل على ذلك، أن الرجل قال: أذكر أحب الناس إليك، أو أدع أحب الناس إليك، ولم يحدد شخصا بعينه، فقد يكون أحب الناس إليه أمه، أو أباه، أو ولده، أو زوجه، أو صديقه، وقد لا يكون من الأولياء الصالحين في شيء، كما أن من أشار إلى عبدالله بن عمر بذلك ليس نبيا ولا حتى صحابيا، بل لا يعرف من هو، مما يدل على أنه لم يكن مراد عبدالله بن عمر عندما قال محمد أو يا محمد الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم مطلقا.

وهذا الدواء للخدر كان معروفا عند الجاهليين قبل الإسلام جرب فنفع، وليس فيه إلا ذكر المحبوب، وقد جاءت الأشعار بهذا كثيرا في الجاهلية والإسلام.

قال كثير عزة:

إذا مذلت رجلي ذكرتك اشتفي   بدعـواك من مـذل بها فيـهـون

وقال جميل بثينة:

وأنت لعـيني قـرة حـين نلـتـقي   وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي

وقال الموصلي:

والله ما خدرت رجلي وما عثرت   إلا ذكرتك حتى يذهب الخدر

وقال الوليد بن يزيد:

أثيبي هـائما كلفا معنى   إذا خـدرت له رجل دعاك

وغير ذلك من الأشعار.

أفيقال: أن هؤلاء استغاثوا بمن يحبونهم من نساء ورجال، فأغاثوهم!

والحديث السابع: ما ذكره ابن كثير الدمشقي في تاريخه البداية والنهاية في ذكر وقعة بني حنيفة حيث قال: "وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة

وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع، ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه" اهـ

والجواب: أن هذا الخبر باطل، ليس له سند يعرف، والثابت أن شعار المسلمين في حروبهم هو: يا منصور أمت. يتفاءلون بالنصر، أي: أيه المنصور بإذن الله اجتهد في القتال حتى الموت.

ثم لو صحت أيضا لم تكن دليلا لهؤلاء، لأن هذا مجرد شعار يتعارف به المسلمون به في معمعة الحرب، لكيلا يقتل بعضهم بعضا، ويستحث به بعضهم بعضا، وليس بمعنى الاستغاثة بل معناه: يا أنصار النبي محمد جدوا في الحرب بقدر وسعكم، ومثل هذا معروف عند العرب في الجاهلية، وبعد الإسلام، حيث كانت القبائل العربية في حروبها تعتزي بأسلافها، لكي يعرف بنو القبيلة بعضهم، فلا يقتل بعضهم بعضا، كما يستخدمونه في استحثاث قومهم، وتشجيعهم، على الضراوة في الحرب، قال الأخطل في وقعة جرت بين تغلب وقيس عيلان:

تركوا عميرا والرماح ينشنه   يدعو وقد حمي الوغى منصورا

أي: يدعوا قومه بني منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهو جد قبائل سليم ومازن وهوازن. وكان شعارهم في الحرب: يا منصور، يعتزون بجدهم الذي ينسبون إليه، لا أنهم كانوا يستغيثون بجدهم منصور!

والحديث الثامن: وهو حديث الشفاعة الكبرى، عندما يتوجه الناس يوم القيامة إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

والجواب: أن الناس عندما يهرعون إلى الأنبياء في ذلك الوقت، يكون النبي صلى الله عليه وسلم حيا حياة كاملة، ويسمع ويبصر وقادر على أن يشفع، فتوافرت فيه شروط الدعاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة الجائزة.

زيادة على أن حديث الشفاعة، ينقض ملة هؤلاء المشركين، فنجد في هذا الحديث أن الأنبياء، بل أولي العزم من الأنبياء، وصفوة الأنبياء، يخافون في ذلك اليوم من الله تعالى، حتى إنهم لا يجرؤون على الشفاعة للناس، ولا يجرؤ على ذلك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم عندما يحضر أمام الرب عز وجل، يسجد لله تعالى، ويسبحه ويمجده ويعظمه ويقدسه، حتى يرضى عنه، ويأذن له في الشفاعة، فأين ما يزعمه هؤلاء المشركون من أن الأنبياء والأولياء لهم عند الله مكانة ووجاهة، فلا يرد لهم طلب، وأنهم بهذا ينفعون ويضرون، بإذن الله تعالى، ولذلك يجيزون دعائهم من دون الله تعالى!

والحديث التاسع: عن أبي حرب الهلالي، قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا، مستشفعا بك على ربك، لأنه قال في محكم كتابه: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك، أن يغفر لي ذنوبي، وأن تشفع فيّ، ثم أقبل في عُرض الناس، وهو يقول:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبه الأبقاع والأكم
نفسي الفداء بقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

والجواب: أن هذا الحديث كسابقيه، ليس للمشركين فيه حجة على جواز دعاء النبي والاستغاثة به من دون الله تعالى، فالأعرابي لم يقل: يا رسول الله أغفر لي، بل جاء مستغفرا الله تعالى، ومستشفعا بالنبي ليقبل الله استغفاره وتوبته، فالاستغفار لله، والاستشفاع بالنبي، فأين هذا ممن يستغفر النبي والولي من دون الله؟! ويسأله العفو والتوبة من دون الله؟!

وهذا الحديث، شبيه بحديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه.

ثم إن هذه القصة أصلا لا تصح من حيث السند، فحسبك أنه لم يروها سوى البيهقي، وهو حاطب ليل وجارف سيل، ورواها بإسناد مظلم، لا تقوم بمثله حجة، ثم هذا الحديث، ليس عن الله عز وجل ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو عن أعرابي، فمتى كان فعل عوامّ لناس حجّة في دين الله عز وجل، إن لم يكن فعلهم عليه دليل من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟! فحتى لو نصّ على جواز سؤال المغفرة من النبي من دون الله تعالى، لما كان فيه حجّة لمحتج.

والحديث العاشر: عن أبي بكر المنقري قال: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا على حالة فأثر فينا الجوع، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع، وانصرفت، فقال لي الطبراني اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوي، ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم.

والجواب: هذا الخبر ليس عن الله ولا عن رسوله، وإنما تؤخذ الأحكام الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله، فمن خالفها استحق الذم، فضلا عن أن يكون قوله أو عمله حجة يحتج بها!

وهذه القصة، مع مخالفتها للآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، إلا أن لنا أيضا معها وقفة، فالعلوي ذكر أن النبي أتاه في المنام، وأمره بأن يحمل إلى المنقري ورفاقه طعاما، وذلك بسبب دعاء المنقري له، وشكاية الجوع إليه، فهل رأى العلوي حقا النبي بصفته في المنام، أم أن العلوي رأى شيطانا تمثل في هيئة رجل، وقدم نفسه للعلوي على أنه رسول الله، وأخبره بشكاية المنقري الجوع إليه، وأمره بحمل طعام لهم، ومراده من هذا أن يضلهم ويضل العلوي معهم، ويضل بهم من لم يرد الله به خيرا، فإذا رأوا ذلك، ظنوا أن هذا ينفعهم حقا، فصرفوا الدعاء للنبي من دون الله تعالى، بحجة أن هذا نفعهم يوم أصابهم الجوع، بدليل أن النبي حضر للعلوي وأمره بإطعامهم، فيقعون بهذا في الشرك الأكبر، ويخرجون من الإسلام كما دخلوا فيه، ولا شك إن صحت هذه الرواية، أن ما رآه العلوي شيطان، بدليل أن هذا الخبر يخالف القرآن والسنة، والنبي لا يمكن أن يخالفهما، كيف وهو أصلا من بلغهما وأمر الناس بالعمل بهما!

ولكن مع هذا، فالخبر لا يصح، ولا يعرف له إسناد، إنما يرويها أغبياء المحدثين، الذين يروون كل شاذة وفاذة، بلا عقل ولا بصيرة، لا يعتمد عليه في شيء، لا في إثبات الأحكام، ولا في العقائد من باب أولى.

فقد رواها ابن الجوزي في كتاب الوفا بأحوال المصطفى، بدون إسناد، وذكرها الذهبي في كتبه أيضا بصيغة التمريض "روي" ولم يذكر لها إسنادا.

والحديث الحادي عشر: عن داود بن أبي صالح، قال: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم، جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

والجواب: أن هذا الحديث ضعيف الإسناد، فداود بن أبي صالح، راوي الخبر، مجهول الحال، لا يعرف، وكثير بن زيد مختلف فيه، حسن القول فيه جماعة، وضعفه آخرون، والراجح أنه ضعيف، لأن الأكثرية على تضعيفه، قال عنه أبو أحمد بن عدي الجرجاني: لم أر به بأسا، وأرجو أنه لابأس به. وقال أبو حاتم الرازي: صالح، ليس بالقوي، يكتب حديثه. وقال أبو زرعة الرازي: صدوق فيه لين. وقال أحمد بن حنبل: ما أرى به بأسا. وقال أحمد بن شعيب النسائي: ضعيف. وقال علي بن المديني: صالح، ليس بالقوي. وقال محمد بن جرير الطبري: وهو عندهم ممن لا يحتج بنقله. وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي: كثير الحديث. وقال محمد بن عمار الموصلي: ثقة. وأما يحيى بن معين، فقد اختلفت أقواله فيه، فقال مرة: ليس بشي، ومرة: ليس بذاك، ومرة: صالح، ومرة: ليس به بأس، ومرة: ثقة. وفي رواية ابن محرز، قال: ضعيف. وقال يعقوب بن شيبة السدوسي: ليس بذاك الساقط، وإلى الضعف ما هو. فلم يوثقه سوى محمد بن عمار، ووثقه ذاك الجهمي المدعو ابن حبان، وهو مشهور بتوثيق المجاهيل والضعفاء فلا يعتد بقوله.

وقد أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بدون قوله: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم، جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر. فهذه الزيادة وردت عند أحمد. فقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين المصري، ثنا سفيان بن بشر، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، قال: قال أبو أيوب لمروان بن الحكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تبكوا على الدين إذا وليتموه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليتموه غير أهله". وأحمد بن رشدين شيخ الطبراني ضعيف، لذلك ربما وهم وأسند الخبر إلى المطلب خطأ، والله أعلم.

ثم على فرض صحة هذا الخبر، فإنه ليس فيه ما يدل على جواز دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما مراد أبي أيوب رضي الله عنه، أنه جاء يزور النبي، وزيارة القبور جائزة، فأبو أيوب، إنما جاء زائرا للنبي صلى الله عليه وسلم، لِمَا وجده من الألم في قلبه بسبب ما أصاب الدين بموت النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع وجهه على قبره حزنا وأسا، ولم يرد في الحديث أن أبا أيوب استغاث بالنبي أو دعاه من دون الله تعالى!

والحديث الثالث عشر والأخير: عن عتبة بن غزوان، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم عونا، وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم".

ومثله حديث عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله، احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم".

قلت" والمراد بهؤلاء العباد هم طائفة من الملائكة. فعن عبدالله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله". رواه البزار مرفوعا ورجاله ثقات، ورواه ابن أبي شيبة موقوفا.

والجواب: أن هذه الأحاديث، ضعيفة من جهة أسانيدها، ولو صحّت فليس فيها حجة لهؤلاء المشركين، فليس فيها دليل على جواز دعاء غير الله تعالى، لأن من دعوناهم واستغثنا بهم كما في الحديث، أحياء وحاضرون وقادرون على إغاثتنا، لأننا استغثنا بهم في أمر يقدرون عليه. فلم يرد أن نستغيث بميت أو غائب، ولم يرد أن نستغيث بهم في أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

وواعجبي من قوم يخالفون الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي تنهى عن دعاء غير الله تعالى، ويتشبثون بهذه الأخبار وهي ما بين ضعيفة وباطلة، ثم هي لا تدل على مرادهم وما يدعون إليه من الشرك الأكبر والعياذ بالله تعالى.

وعلى كل فكل دليل طرحه هؤلاء المشركون، لا يدل على جواز ما يقومون به من الشرك والإلحاد والعياذ بالله، إنما يقدمونه للجهلة ليشرعنوا به باطلهم، وهم يزعمون في المحافل والمجامع، أنهم لا يحتجون إلا بالصحيح من الأخبار، بل يزعمون أنهم لا يقبلون من الأخبار إلا الصحيح المتواتر، ولكن هذا مجرد كلام فارغ، فلا يصح عندهم إلا ما وافق أهوائهم وإن كان موضوعا، والموضوع عندهم ما خالف أهوائهم وإن كان مسلسل بالثقات، نعوذ بالله من الضلال.

وهؤلاء المشركون لديهم حيل ومخاريق، يلبسون بها على الناس، ويصطادون بها من لم يرد الله تعالى به خيرا، فلما كان شركهم ظاهرا لكل أحد، ألهمهم الشيطان ببعض الحيل.

فزعموا أنهم يعتقدون أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله وحده، وأن الملك والخلق لله وحده، ولكن هؤلاء لما لهم من وجاهة ومكانة عند الله ندعوهم، فيدعون الله لنا، فيستجيب لهم فينا.

والجواب على ذلك: أن هذا هو عين شرك مشركي قريش في الجاهلية، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقال تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} فلم يكن مشركي قريش يعتقدون في ألهتهم أنها تنفع وتضر من دون الله، بل تنفع وتضر بإذن الله تعالى، وإنما يدعونها بزعمهم لما لها من مكانة ووجاهة عند الله، وهي تدعو الله لهم، فيستجيب الله دعائها، فيدفع عنهم ما يضرهم، ويجلب لهم ما ينفعهم.

ولما رأوا أن هذه الحيلة قد بطلت، زعموا أن مشركي العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الحجر والأشجار، بينما هم يدعون أناسا صالحين، من أنبياء وأولياء، ولا يقاس الأنبياء والأولياء بالحجر والشجر.

والجواب على ذلك: أن هذا باطل، فمشركوا العرب قبل الإسلام، كانوا يدعون الملائكة، ويدعون الجن، ويدعون الصالحين، زيادة على دعائهم للأحجار والأشجار، ومع ذلك وصف الله تعالى فعلهم بأنه شرك، على كل حال، فقال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ}

فلما رأوا أن هذ الحيلة قد بطلت، زعموا أن دعاء النبي والولي من دون الله تعالى لا يكون شركا إلا إذا اقترن معه اعتقاد الربوبية في المدعو من دون الله تعالى.

والجواب على ذلك: أن هذا شرط باطل، وإلا فأين يجدون في كتاب الله تعالى أن من شرط النهي عن دعاء غير الله تعالى عدم اعتقاد الربوبية في غير الله تعالى!

فهؤلاء كمن يقول: أن الله أرسل النبي وأنزل الكتاب ليقول لأبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف ومشركي قريش والعرب، أنه لا بأس أن تدعوا غير الله من ملاك أو إنسي أو جني أو صنم أو شجر أو حجر، ولكن لا تقولوا عنها بأنها أرباب أو آلهة! وهذا كلام لا يقول به إلا أسخف الناس عقلا وأسقمهم فهما، لأنه جعل الدين قشورا بلا لب، وعنوانا بلا مضمون، وخالفوا صريح الكتاب والسنة ببهرجة من القول يلبسون بها على من أعمى الله بصيرته.

ومما يدل على بطلان قولهم، أن العرب كانت تقول: رب القبيلة، أي: سيدها، ورب القرية، أي: سيدها، ورب الإبل والغنم والبقر والخيل والبغال والحمير، أي: راعيها، ورب البيت، أي: راعيه. ولم يأتي الشرع بإنكار هذا الوصف لغير الله تعالى، إن كان مقصود القائل أن هذا الموصوف بالرب ليس معبوداً يصرف الدعاء له من

دون الله تعالى، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وإنما جميع الآيات في إنكار من صرف الدعاء لغير الله تعالى، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ثم إن مجرد دعائهم للأنبياء والأولياء هو عبادة منهم لهم! واتخاذا منهم لهم أربابا وآلهة من دون الله تعالى، والدليل على ذلك قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

قال عدي بن حاتم الطائي: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم!

فوصف الله اليهود النصارى بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى، وأنهم عبدوهم من دون الله، مع أنهم لم يصفوا أحبارهم ورهبانهم بالربوبية مطلقا، ولا قالوا بأنهم آلهة تعبد، فكان مجرد العمل، كاف في اتخاذهم لهم أربابا، الربوبيّة العظمى، التي لا تليق إلا بالله تعالى، ومن اتخاذهم آلهة تعبد من دون الله تعالى!

ثم انظر كيف فهم عدي – وأقره النبي على هذا الفهم – من اتخاذ الشيء ربا هو من اتخاذه ألهة، وأن طاعته فيما خالف أمر الله تعالى، من اتخاذه ربّا وآلهة.

وبهذا تنتهي شبهات هؤلاء القوم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فإن زعم زاعمٌ أن الله تعالى اختص أحداً من خلقه، بأن جعله مثيلاً له في كمال صفة من صفاته، وجعله شريكاً له في أمره ونهيه، قلنا له: هذا أمر لا يثبت بالعقل والفطرة، ولا يمكن عِلمه إلا بالخبر عن الله أو عن رسوله، فإن كان لديه دليل من

الكتاب والسنة وإلا فمن أين جاء به. فأما الكتاب والسنة فلم يرد فيها شيء من ذلك، فلم يتبقى إلا أن هذا المدّعي، يفتري على الله وعلى رسوله الكذب.

والله أعلم وأحكم.

باب الشبه بين مشركي العرب قبل الإسلام ومشركي الصوفية والشيعة

إن من ينظر في حال الصوفية والشيعة اليوم يجد أن بينهم شبه كبير يربطهم بمشركي العرب قبل الإسلام مع فارق بسيط لصالح مشركي العرب

فمشركي العرب قبل الإسلام كانوا على بقايا من دين الحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام فهم يحجون ويصومون ويتصدقون ويزعمون أن ماهم عليه هو ملة إبراهيم عليه السلام.

في حين نجد أن مشركي الصوفية والشيعة على بقايا من ملة الإسلام ملة محمد صلى الله عليه وسلم فهم يحجون ويصومون ويتصدقون ويصلون ويزعمون أن ما هم عليه هو ملّة محمد صلى الله عليه وسلم.

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحلته.

وكذا رواه أبو أسامة، عن هشام به. وزاد: وكان يصلي إلى الكعبة، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم.

رواه ابن هشام في السيرة.

لكن مشركي العرب كانوا يدعون شركائهم من الملائكة والجن والأصنام والأوثان من دون الله تعالى ويستغيثون بهم ويستعيذون بهم ويسألونهم قضاء حوائجهم بجلب المنافع ودفع المضار.

وكذلك الصوفية والشيعة يفعلون نفس الشيء مع الأنبياء والصالحين بل إنهم أصبحوا ينحتون أصناما على صور بعض الصالحين كما فعل قوم نوح عليه السلام وكما فعل مشركي العرب، يتبركون بهم ويدعونهم من دون الله تعالى!

بل إن مشركي العرب كانوا يبنون القبور ويشيدونها ثم يعبدونها بدعاءها من دون الله تعالى والإستعانة بها والإستغاثة بها والإستعاذة بها فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

كما فعلوا بقبر اللات، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان يلتّ السويق للحاجّ.

وعن مجاهد تلميذ ابن عباس رضي الله عنه، أن اللاتّ كان رجلا يلت السويق لحجاج المشركين فمات فعكفوا على قبره.

رواه الطبري في التفسير.

وكذلك الصوفية والشيعة فقد بنو على قبور آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قبور معظّميهم وأخذوا يدعونهم من دون الله تعالى ويستعينون بهم ويستغيثون بهم ويستعيذون بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!

وذهب بعض المؤرخين إلى أن اللات اسم صنم كان يعبد في الجاهليّة، حيث كان يزعم مشركو العرب أن اللات والعزّى ومناة بنات الله، تعالى الله علوّاً كبيرا، وبهذا فاللات ليس وصفاً لرجل، بل هو اسمٌ لامرأة كانت تعبدها العرب في الجاهليّة.

ولكن ما روي عن ابن عباس وتلميذه مجاهد يفيدنا في أن العكوف على القبور، ودعاءها وسؤالها قضاء الحاجات، كان من عبادات المشركين، والذي يظهر أن ابن عبّاس خلط بين القبر الذي كان يعتكف عنده مشركو قريش، وبين صنم اللات، فظن أن اللات لقب لصاحب القبر، ومثل هذه الأوهام تقع كثيراً عند الرواة.

وكان مشركي العرب يزعمون أنهم إنما اتخذوا الأنداد من دون الله تعالى ليكونوا وسطاء وشفعاء لهم عند الله وأنهم يعتقدون أن هذه الأنداد لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله تعالى.

قال تعالى: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر : ٣]

قال الإمام الطبري في تفسيره فيما نقله عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: "يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا" اهـ

وقال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس : ١٨]

قال الإمام الطبري: "يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله" اهـ

ومع ذلك فلم يعذر الله المشركين على هذا، بل بعث إليهم رسولا ينهاهم عن ذلك ويخبرهم بأن هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره.

وكذلك الصوفية والشيعة يقولون إنما نعبد الأنبياء والصالحين ليكونوا لنا وسطاء وشفعاء لنا عند الله مع اعتقادنا أنهم لاينفعون ولايضرون إلا بإذن الله تعالى!

وهذا الوجه من أعظم وجوه الشبه بين مشركي العرب ومشركي الصوفية والشيعة وأكثره وضوحاً وبياناً لحال هؤلاء المشركين!

وكذلك من رأى كيف أن الصوفية والشيعة حولوا المساجد إلى محلات للرقص والتصفيق ويدعون أن هذا عبادة تقربهم إلى الله تذكر ما وصف الله به مشركي العرب قبل الإسلام في قوله تعالى:(وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)

الفارق الوحيد بين مشركي العرب ومشركي الصوفية والشيعة أن مشركي العرب كان إذا حزبهم أمر اخلصوا الدعاء لله تعالى.

قال تعالى مخبراً عنهم: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت : ٦٥]

قال الطبري فير تفسيره: "يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ)يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا." اهـ

ومشركي الصوفية والشيعة إذا حزبهم أمر أخلصوا الدعاء لشركائهم من دون الله تعالى فبالله عليكم من أشد كفراً وشركاً؟!

باب النهي عن الذبح لغير الله

قال تعالى في سورة الأنعام: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}

فحكم الله عز وجل هنا على من لم يذكر اسم الله تعالى على الذبيحة بأنه مشرك.

مع أنه لم يذكر اسم غير الله تعالى.

وحكم سبحانه وتعالى، بأن كل ذبح لم يذكر اسم الله عليه فهو حرام.

فمن يجيز الذبح دون ذكر اسم الله تعالى، أو يجيز الذبح على غير اسم الله تعالى، سواء أشرك ذكر اسم المخلوق مع ذكر اسم الله تعالى، أو ذبح على اسم هذا المخلوق وحده، كمن يجيز الذبح على ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلل ذلك بأنه أراد التبرك بذكر اسمه، فهو من أولياء الشيطان.

فمن الذبح ما لا يكون شركاً، كذبح الرجل لنفسه ليطعمها، ولأهل بيته ليطعمهم.

أو كذبح الرجل لضيفه إكراماً له.

أو كذبح الرجل لرجل حَيٍّ حاضر، تقرباً له، ليقضي له حاجة من حوائج الدنيا، التي يقدر المخلوقون عادة على قضائها.

فيذبحها ويقدمها إليه على أنها هديّة أو ضيافة.

إلا أن الله تعالى، اشترط علينا في كل ذلك، أن نذكر اسمه العظيم عليها عند الذبح.

فلا تحلّ ذبيحة لم يذكر اسم الله تعالى عليها.

ولكن الذبيحة تكون شركاً، إذا قدّمت لمخلوق تقرباً له، ليقضي حاجة من الحوائج التي لا يستطيع قضاءها إلا الله تعالى، أو قدِّمت الذبيحة لهذا المخلوق، على أمر يستطيعه المخلوقون عادة، ولكن قدِّمت له لقضاءها وهو في أرض بعيدة، أو وهو ميِّت، معتقدٌ أنه قادر على قضاء حاجته، فهذا أيضاً شرك أكبر.

أو يقدم الذبيحة لمخلوق تقرباً وتزلفاً على أمر يستطيعه هذا المخلوق، دون ذكر اسم الله عليها، أو بذكر اسم هذا المخلوق عليها عند الذبح، بدل ذكر اسم الله تعالى، أو يذكر اسم هذا المخلوق مع ذكر اسم الله تعالى عليها، فهنا تكون هذه الذبيحة، شرك أكبر.

ولكن البعض قد يستشكل عليه، كيف يكون الذبح للمخلوق على أمر يستطيعه، دون ذكر اسم الله تعالى، ودون ذكر اسم هذا المخلوق، ذبحاً شركياً؟

ولتتبيّن لك المسألة، أذكر هنا خبراً ذكره الشيخ حامد آدم، وهو من بلاد السودان، في محاضرة له، وكان هذا الرجل مشعوذاً وساحراً، ثم تاب إلى الله تعالى وأسلم.

فقد ذكر الشيخ حامد آدم، أن الجِنّ كانت تأمره أن يذبح لهم ذبيحة كقربان لهم، ليقوموا بخدمته، وأنهم كانوا يشترطون عليه، أن لا يذكر اسم الله تعالى، وكانوا يأمرونه أن يعضّ على حديدة أو خشبة أو أي شيء، لكيلا ينسى ويذكر اسم الله تعالى على الذبيحة بالخطأ.

فنجد هنا، أن الجنّ لم تأمره بأن يذكر الذابح أسمائهم على الذبائح التي تُقدَّم لهم، بل اكتفوا بعدم ذكر اسم الله تعالى على الذبيحة، مع أن الذبيحة قُدِّمت لهم على أمر يستطيعونه.

ولو لم يكن الجنّ يعلمون أن هذا النوع من الذبائح شرك أكبر، لما افترضوه على أوليائهم من شياطين الإنس.

ومن هنا يتبيّن لنا، أن هذا النوع من الذبائح، هي ذبائح شركية.

وقال تعالى في سورة الأنعام أيضاً: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}

قلت: النسك، هي: الذبيحة.

وقال تعالى في سورة الكوثر: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}

وقال محمد بن كعب القرظي في تفسير هذه الآية: "إن أناساً كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد، فلا تكن صلاتك ونحرك إلّا لي". اهـ

رواه الطبري.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لعن الله من ذبح لغير الله". اهـ

رواه مسلم.

باب النهي عن النذر والصدقة لغير الله

قال تعالى في سورة البقرة: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}

قلت: فكل عمل، تريد به التقرب، لجلب نفع أو دفع ضرٍّ، لا يستطيع جلبه ولا دفعه إلا الله تعالى، فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى؛ لأنه سبحانه جالب الخيرات ودافع المضرات.

وليس كل نذر أو صدقة شرك أكبر.

فمن نذر لرجلٍ حيٍّ حاضر، لأجل أن يقضي له حاجة من حوائج الدنيا التي يقدر عليها المخلوقون عادة، فهذا نذر جائز، شرط أن لا يكون رشوة أو حراماً.

كقول الرجل للرجل: إن فعلت لي ما أريده، فعلت لك ما تريده، أو أعطيتك الشيء الفلاني، أو قضيت لك الحاجة الفلانية.

ولكن النذر يكون شركاً، إذا قًدِّم لمخلوق تقرباً له، ليقضي حاجة من حوائج الدنيا التي لا يستطيع قضاءها إلا الله تعالى، أو قدِّم النذر لهذا المخلوق، على أمر يستطيعه المخلوقون عادة، ولكن قدِّم له لقضاءها وهو في أرض بعيدة، أو وهو ميِّت، فهذا أيضاً شرك أكبر.

وكذلك الصدقة، فإن الصدقة إن قُدِّمت للتقرّب لرجلٍ حيٍّ حاضر، لقضاء حاجة من حوائج الدنيا، التي يقدر عليها المخلوقون عادة، كأن يقول له الرجل الذي عنده الحاجة: إن كنت تريد أن أعطيك مالاً، أو طعاماًن أو شراباً، أو لباساً، أو تريد أن أقدم هذا لشخص تريد أن أقدم صدقتي له، فاقض لي حاجتي الفلانية، ويطلب منه حاجة من الحوائج التي يستطيع قضاءها المخلوقون عادة، فهذا لا يعتبر شركاً، وهو

عمل مباح، شرط أن يكون الأمر الذي جاء يطلب قضاءه، هو أمر يقدر عليه المخلوقون عادة، فإن قُدِّمت الصدقة تقرباً لهذا المخلوق، رياء وسمعة، فهي معصية، وإن قدِّمت الصدقة لهذا المخلوق، لقضاء أمر لا يقدر على قضاءه إلا الله تعالى، فهذا شرك أكبر، ومثله، لو قدِّمت الصدقة لهذا المخلوق، على أمر يستطيعه المخلوقون عادة، ولكن قدِّمت له لقضاءها وهو في أرض بعيدة، أو وهو ميِّت، فهذا أيضاً شرك أكبر، لأنه ما قدمها له وهو في أرض بعيدة أو هو ميّت، إلا وهو يعتقد أنه يعلم بها، وعنده القوة والقدرة على قضاء حاجته، وبالتالي جعله مثيلاً وكفواً وندّاً لله تعالى في كمال صفاته.

فالعلّة في كون دعاء المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو الذبح له، أوالنذر له، أو التصدّق له، للتقرب لقضاء حاجة لا يستطيع قضاءها إلا الله تعالى، شركاً أكبر، هو أن الداعي جعله لله مثيلاً وكفواً وندّاً.

باب لا يعبد الله بمكان يعبد فيه غير الله

عن ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه، قال: "نذر رجلٌ أن يذبح إبلاً ببُوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسو الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم"

رواه أبو داود.

قلت: وهذا الحديث يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم، وصيانته لجناب التوحيد، بحيث لا يشتبه على الناس ويظنون أن ما يقوم به المشركون جائز في الإسلام، فإن الرجل ما أراد الذبح ببوانة إلّا لله تعالى، ولكن لو كان هناك وثن يعبد، فقد يظن الناس أن ذاك المسلم لم يذبح ببوانة إلّا لهذا الوثن، ثم يظنون أن هذا العمل جائز في الإسلام فيعملوه، لذلك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى في سورة التوبة: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

قال أهل العلم: وذلك أن المنافقين، ابتنوا مسجداً ليكون لهم عذراً إذا اجتمعوا فيه للكيد بالمسلمين، وقدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتظاهروا أنهم يريدون أن يصلي لهم فيه للبركة، لكيلا يشك فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى

الله عليه وسلم، قد استعد للخروج لغزوة تبوك، فوعدهم أن يأتيهم بعد قدومه من الغزو، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، جاءه الوحي بخبر المسجد، فبعث أناساً من الصحابة إليه فهدموه.

قلت: ومن مساجد الضِرار، المساجد التي بناها أهل البدع والزيغ والضلال، والفرقة والكلام والجدل، ليصدوا الناس عن دين الله عز وجل، وينشروا من خلالها بدعهم المضلّة، وأراءهم الرخيصة، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

باب حكم السحر والكهانة

قال تعالى في سورة البقرة: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}

قلت: لما توفي نبي الله سليمان عليه السلام، جاءت الشياطين إلى بني إسرائيل، فقالوا لهم: الا نخبركم كيف كان يتحكم سليمان في الجنّ؟ فقالوا: بلا. فأملوا عليهم السحر، فدونه اليهود في الكتب، فانقسمت اليهود في شأن نبي الله سليمان، ثلاث فرق:

فرقة قالت: هو ساحر كذاب، وهم يهود السامرة.

وفرقة قالت: هو نبيٌّ كريم، وعمله بالسحر، دليل على جواز العمل بالسحر، وتعلموه، وعلّموه، وعملوا به، مع أنهم يجدون في كتبهم، أن عمل السحر لا يجوز!

وفرقة قالت: هو نبيّ كريم، ولم يكن ساحراً ولم يعمل بالسحر، وما ألقته الشياطين، كذب، وتلبيس على الناس، وهي الفرقة الناجية بإذن الله.

فبرأ الله نبيّه سليمان من السحر ومن الكفر، فقال: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ} لأنه لا يتعلم السحر ولا يعمل به إلّا كافر.

وأما هاروت وماروت، فهما ملكان كريمان، أنزلها الله تعالى فتنة لعباده، يعلمون من توصّل إليهم السحر، ولا يعلّمان أحداً، حتى يعضونه في نفسه، فإن أصرّ علّموه.

وقوله: {مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} أي: ماله في الأخرة من نصيب، ومآله إلى النار، وبئس المصير.

وقال تعالى في سورة يونس: {فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات". قالوا: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: "الشرك بالله والسحر".. الحديث.

رواه البخاري.

وقال بجالة بن عبدة: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم"

رواه أبو داود.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منّا من تطيّر أو تُطِيّر له، أو تكهّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم".

رواه الطبراني.

والكاهن، يشمل كل مدعٍ لعلم الغيب، فيدخل فيه، الرمّالين، وقرّاء الفنجان، وقرّاء الكفّ، والذين يضربون بالودع، ومن في حكمهم، ممن يتواصلون مع شياطين الجنّ.

وعن قبيصة رضي الله عنه، قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العيافة، والطرق، والطِيَرة، من الجبت".

قال عوف: "العيافة، زجر الطير، والطرق، الخطّ يخط بالأرض، والجبت، قال الحسن: رنّة الشيطان".

رواه أبو داود.

وعن عبدالله بن عباس: "الجبت رنّة الشيطان".

رواه الطبري.

ومثله عن قتادة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عقد عقدة ثم نفخ فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وُكِل إليه".

رواه النسائي والطبراني.

باب حكم التنجيم

المنجمون، هم الذي يدّعون علم الغيب، بواسطة حركات الشمس والقمر والنجوم، ومنازلها، ومثلهم، الذين يدعون علم الغيب من خلال حساب الجمّل والأرقام.

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد"

رواه أبو داود.

وعند أحمد وابن ماجه والطبراني: "من اقتبس علماً" بدل: "من اقتبس شعبة".

وعن زيد بن خالد الجهني، في غزوة الحديبية، قال: صلّى بنا رسول الله ذات ليلة، على إثر سماء من الليل، فقال: "قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فإنه كافر بي مؤمن بالكوكب، ومن قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب".

رواه البخاري.

قوله: "بنوء" النوء، هو: النجم، والباء للسببية، أي: أن هذا المطر من النجم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خسفت الشمس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً، يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلّى بأطول قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ رأيته قطّ يفعله، وقال: "هذه الآيات التي يرسل الله، لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن يخوّف الله به عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك، فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره".

رواه البخاري.

وعن قتادة رحمه الله في قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} قال: "خلق هذه النجوم لثلاث، جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به".

رواه البخاري.

قلت: ولما أراد محمد بن هارون العبّاسي، غزو عمّوريَّة، جاء بالمنجمين، وكان ضالّاً، يؤمن بالكهانة، فطلب منهم أن ينظروا في النجوم، ليروا لمن تكون الكرّة، فلما نظروا في النجوم بزعمهم، قالوا: الكرّة عليك. لكن عزمه لم ينثني، فصمم على غزو عمّوريّة، وتغلّب عليها، وبان كذب المنجمين وافتضحوا، فقال أبو تمام شعراً:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجِدّ واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف ... في متونهن جلاء الشك والرِيَب
والعِلم في شُهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشُهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زُخرف فيها ومن كذب
تخرُّصا وأوهاما وأحاديثا ملفّقة ... ليست بنبع إذا عُدّت ولا غرب
عجائبا زعموا الأيّام مجفلة ... عنهنّ في صفر الأصفار أو رجب
وخوّفوا الناس من دهماء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذنب
وصيّروا الأبرج العليا مرتبة ... ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بيّنت أمرا قطّ قبل موقعه ... لم تُخفِ ما حلّ بالأوثان والصُلب

باب ما جاء في النشرة

والنُشرة هي: الرقية.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل عن النشرة، فقال: "هي من عمل الشيطان".

رواه أحمد وأبو داود.

وعن قتاد بن دعامة قال: قلت لسعيد بن المسيّب: رجل به طبّ، أو يؤخذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنشَر؟ قال: لا بأس، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس، فلم ينه عنه.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فقال: "يا عائشة، أعلمت أن الله استفتاني فيما استفيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والأخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: وفيم؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطَة. قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعت ذكر، تحت راعوفة، في بئر ذروان". قالت: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه، فقال: "هذه البئر التي أُرِيتُها، وكأن ماءها نقاعة الحنّاء، وكأن نخلقها رؤوس الشياطين". قال: فاسْتُخْرِج، قالت: فقلت: أفلا؟ أي: تنشّرت؟ قال: "أمّا الله فقد شفاني، وأكره أن أُثير على أحدٍ من الناس شرّا".

رواه البخاري.

وعن الحسن البصري، في النشرة: أنها من عمل الشيطان.

رواه ابن أبي شيبة.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، في مصنفه، عن إبراهيم قال كانوا يكرهون التمائم، والرقى، والنشر.

قال ابن القيّم في إعلام الموقعين: والنشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمل الشيطان، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر.

قلت: قد علمت ممن تاب من السحر، أن الساحر لا يكون ساحراً، حتى ينسلخ من دينه، ويتقرب إلى الشياطين بأنواع القربات، كدعائهم، والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم، فبما أن هذا كذلك، فإن عمل الساحر كفر كله، سواء في الشرّ أو في الخير؛ لأن الخير الذي يريده، لا يقع إلّا بعد أن يكفر هو، ومن كرهه، أو توقف فيه من العلماء، إنما أتي من جهة جهله بحال السحرة، وحقيقة عملهم، وبهذا نعلم أن حل السحر بسحر مثله لا يجوز، وأنه ينبغي على المسحور، أن يتداوى كما تداوى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بالقرآن الكريم، والأدعية الشرعية؛ والأدعية الشرعية، هي: الأدعية التي يخلص فيها الدعاء إلى الله عز وجل، واللجوء إليه والاستعاذة والاستغاثة والاستعانة به.

باب النهي عن الطيرة والتطير

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة، يعجبني الفأل". قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيّبة".

رواه البخاري.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلّا أنت، ولا يدفع السيئات إلّا أنت، ولا حول ولا قوّة إلّا بك"

راه أبو داود.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "الطيرة شرك، ثلاث مرّات، وما منّا وإلّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل".

رواه أبو داود.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ردّته الطِيَرة من حاجة فقد أشرك". قالوا: يا رسول الله، ما كفّارة ذلك؟ قال: "أن يقول أحدهم: "اللهم لا خير إلّا خيرك، ولا طير إلّا طيرك، ولا إله غيرك".

رواه أحمد والطبراني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر".

رواه البخاري.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة". فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله البعير يكون به الجرب، فتجرب به الإبل! قال: "ذلك القدر، فمن أجرب الأوّل"؟

رواه البخاري.

وعن سعد بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقول: "لا هامة ولا عدوى ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدّار".

رواه البخاري.

وعن قبيصة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "العيافة والطيرة والطرق من الجبت".

رواه أبو داود.

الطرق، هو: الزجر.

والعيافة، هي: الخط.

وعن الفضل بن العباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إنما الطِيَرة ما أمضاك أو ردك".

رواه أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فرّ من المجذوم، فرارك من الأسد".

رواه البخاري.

قلت: فالنبي صلى الله عليه وسلم، إنما يريد أن يعلّمنا، أن العدوى لا تقع إلّا بقدر من الله تعالى، والأخذ بالأسباب من أقدار الله تعالى، فيأخذ العبد بالأسباب التي وضعها الله لعباده؛ ليتسبّبوا بها، فإن وقعة العدوى، فليقل: قدّر الله وما شاء فعل.

باب النهي عن لبس الحلقة والخيط لدفع البلاء

عن عمران بن حصين، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: "ما هذا"؟! قال: من الواهنة. فقال: "انزعها، فإنها لا تزيدك إلّا وهنا، فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبدا".

رواه أحمد وابن ماجه والطبراني.

وعن عقبة بن عامر الجهني، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا! قال: "إن عليه تميمة". فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: "من علّق تميمة فقد أشرك".

رواه أحمد والطبراني.

وعن عقبة بن عامر الجهني، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من تعلّق تميمية فلا أتمّ الله عليه، ومن تعلّق ودعة، فلا ودع الله له".

راه أحمد والطبراني.

وعن أبي الخير مرثد بن عبدالله اليزني، قال: سمعت عقبة بن عامر، يقول في التمائم: "إنها أينما وضعت من الإنسان، فإن موضعها شرك".

رواه عبدالله بن وهب في جامعه.

وعن زيد بن وهب قال: انطلق حذيفة إلى رجل من النخع، يعوده، وانطلقت معه، فدخل عليه ودخلت معه، فلمس عضده، فرأى فيه خيطا، فأخذه فقطعه، ثم قال: لو متّ وهذا في عضدك، ما صلّيت عليك.

رواه ابن أبي شيبة.

وعن عزرة بن عبدالرحمن الخزاعي، قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرا، فقطعه، أو انتزعه، ثم قال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف ١٠٦]

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره.

وحذيفة هو ابن اليمان، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

باب النهي عن الرقى والتمائم الشركية

عن عبدالله بن أبي بكر، عن عُبَاد بن تميم، أن أبا بشير الأنصاري، أخبره، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في بعض أسفاره، قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً، قال عبدالله بن أبي بكر: حسبت أنه قال؛ والناس في مبيتهم: "لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة، إلّا قطعت".

قال مالك: أرى ذلك من العين.

رواه البخاري.

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، عن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك". قالت: قلت: لم تقول هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني، فإذا رقاني سكنت، فقال عبد الله: إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أذهب البأس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما".

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني.

والرقى، هي أدعية وتعاويذ تقرأ على الشخص.

ومثلها العزائم، إلا أن العزائم، تكتب على ورق أو جلد، وتغسل بالماء، ثم يشرب ماءها.

والتمائم، هي شيء يعلق على الأعناق أو الأيدي أو الأرجل، يزعمون أنها تحفظهم!

والتولة، شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته.

ويستثنى من الرقى والعزائم، ما خلا من الشرك.

عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك".

وعن عيسى بن حمزة، قال: دخلت على عبدالله بن حكيم، وبه حُمرَة، فقلت: ألا تعلّق تميمة؟ فقال: نعوذ بالله من ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلّق شيئاً وكِل إليه".

رواه أبو داود.

وعن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس، أن من عقد لحيته، أو تقلّد وتراً، أو استنجى برجيع دابة، أو عظم، فإن محمداً بريء منه".

رواه أحمد.

وعن إبراهيم النخعي، قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن، ومن غير القرآن.

رواه ابن أبي شيبة.

وعن سعيد بن جبير، قال: من قطع تميمة من إنسان، كان كعدل رقبة.

رواه ابن أبي شيبة.

قلت: وصدق سعيد، فإن من قطعها من إنسان، فقد أعتق رقبته من النار.

باب النهي عن الحلف بغير الله

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

رواه البخاري.

وعن سعيد بن عبيدة قال: سمع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رجلا يحلف يقول: لا والكعبة. فقال عبدالله بن عمر: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير فقد اشرك".

رواه أبو داود والترمذي.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "كل يمين يحلف بها دون الله شرك".

رواه أبو داود والترمذي.

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف بالأمانة فليس منا".

رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون".

رواه أبو داود والنسائي.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله".

رواه البخاري.

باب النهي عن قول ما شاء الله وشئت

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: "أجعلتني لله ندا! ما شاء الله وحده".

رواه أحمد والنسائي.

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان".

رواه أبو داود وأحمد والنسائي وابن أبي شيبة.

وسئل أبو جعفر، محمد بن علي، عن قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف] قال أبو جعفر: شرك طاعة، قول الرجل" لولا الله وفلان، لولا الله وكلب بني فلان.

رواه ابي حاتم.

باب النهي عن البناء على القبور

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا.

رواه البخاري.

وعن عائشة وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة، جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: "لعنة الله على اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

تقول عائشة: يحذر مثل ما صنعوا.

رواء البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم، تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة، يقال لها مارية، وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرن من حسنها وتصاويرها. قالت: فرفع النبي صلي الله عليه وسلم رأسه وقال: "أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، ثم صوّروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة".

رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

رواه البخاري.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

رواه أحمد.

وعن جندب بن عبد الله البجلي، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى الله أن يكون لي فيكم خليل، وأن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لتّخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك".

رواه مسلم.

وعن الحارث النجراني قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك".

رواه ابن أبي شيبة.

وعن أسامة بن زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: "أدخلوا علي أصحابي". فدخلوا عليه وهو متقنع ببردة معافري، فكشف القناع فقال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

رواه أحمد والطبراني.

وعن أبي عبيدة بن الجراح قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم: "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذي اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

رواه أحمد.

وعن زيد بن ثابت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله". وفي رواية: "قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

رواه أحمد والطبراني.

وعن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد".

رواه أحمد والطبراني.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج.

رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن علي بن أبي طالب قال: لقيني العباس فقال: يا علي انطلق بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان لنا من الأمر شيء، وإلا أوصى بنا الناس، فدخلنا عليه وهو مغمى عليه، فرفع رأسه فقال: "لعن الله اليهود، اتخذوا قبور الأنبياء مساجد".

زاد في رواية: ثم قالها الثالثة، فلما رأينا ما به خرجنا ولم نسأله عن شيء.

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى.

قلت: فانظروا كيف يبني المتكلمون والصوفية والرافضة القبور على معظميهم، ويزخرفونها، ويتّخذون عليها السُرُج، علم أن أولئك القوم من شرار خلق الله تعالى، فكيف إذا علمت أنه ومنذ أواخر الدولة العباسية، مروراً بالبويهية والسلجوقية والزنكيّة والأيوبيّة والموحديّة والمملوكيّة والعثمانية، كانوا جميعاً ينفقون الأموال في تشييد القبور، ويبنون عليها القباب والأضرحة، ويعلقون عليها السرج، فعلم ذوو الألباب ومن سلم

من الهوى وعمى البصيرة، أن جميع ولاة تلك الدول، كانوا من شرار خلق الله تعالى، بنصّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

باب بيان الأحاديث التي يحتج بها المبتدعة في جواز البناء على القبور

وقد استخرج المبتدعة أحاديث يحتجّون بها على جواز بناء المساجد والأضرحة على القبور، فأردت أن أبيِّن ضعفها، وبطلان استدلالهم بها، لأكشف لطُلاب الحق والحقيقة الأمر، وليكونوا من هذه الشبهات على حذر.

فقد احتجوا بما رواه عمر بن عبدالبر في الاستيعاب عن موسى بن عقبة أنه قال: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عَلَيْهِ ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم، فقدم كتاب رَسُول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل، وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بيده يقرؤه، فدفنه أَبُو جندل مكانه، وصلى عَلَيْهِ، وبنى عَلَى قبره مسجدًا. اهـ

قلت: وهذا الخبر لا يصح من جهة الإسناد، لأن موسى بن عقبة لم يلقى أحداً من الصحابة، إلا أمّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وهي صحابية. وبالتالي يكون الإسناد غير متصل، وهذا من علل الحديث التي تحكم بضعفه.

وروى البيهقي ذاك الأشعري، خبر أبي بصير وأبي جندل، ثم قال: فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زعموا على أبي جندل وأبي بصير، وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجدا، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ناس من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم. اهـ

وقد رواه البيهقي عن موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا، ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل، كمال ذكر أئمة الحديث.

وبهذا نعلم، أن هذا الحديث لا يصح إسناده.

وقد روى أئمة السنة خبر أبي بصير وأبي جندل، ولم يذكروا شيئاً عن خبر موت أبي بصير، أو أن أبا جندل بنا على قبره مسجدا.

وإذا كان أبو جندل وأصحابه تفرّقوا بعد موت أبي بصير، فذهب أبو جندل وطائفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بينما رجعت طائفة إلى أهليهم، كما ورد في خبر البيهقي، فلأي شيء إذا بنا أبو جندل المسجد على قبر أبي بصير، وهذا دليل أخر، على تهافت هذا الخبر وبطلانه.

فانظروا يا عباد الله، كيف أن هؤلاء الزائغين، يدعون الأحاديث الصحاح المسلسلة بالثقات، في النهي عن بناء المساجد على القبور، أو البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها، ويكذبون بها، ويحتجون بأحاديث ضعيفة، فهل يشك بعد هذا أحد في زيغهم وضلالهم، وأنهم من جنود إبليس، الذين بثهم في الأرض، ليضلوا عباد الله!

باب النهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها

عن جابر بن عبدالله أن رسو الله صلى الله عليه وسلم، نهى أن يجصّص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

رواه الإمام مسلم.

زاد الترمذي والنسائي بإسناد صحيح: وأن يكتب عليه.

وفي رواية عند الحاكم: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تحصيص القبور، والكتابة فيها، والبناء عليها، والجلوس عليها".

فدلّ هذا الحديث على النهي عن تجيص القبور والقعود عليها والكتابة عليها.

ويشمل ذلك، كل أنواع الكتابة، سواء كتابة آية أو حديث أو نثر أو شعر أو حتى اسم المقبور، لأن الحديث لم يستثني شيئا من ذلك.

وواعجبي من الحاكم النيسابوري، عندما روى هذا الحديث ثم قال: هذه الأسانيد صحيحة، وليس العمل عليها، فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم، وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف. اهـ

فالحاكم ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمسٍ وأربعمائة للهجرة، أي أنه عاش في زمن كثرة فيه البدع، وشاعت فيها البدع، وجُهِر بمخالفة السنن وردّها ومعارضتها بالآراء والأهواء، فكيف يتّخذ الحكم النيسابوري عمل أهل زمانه حجّة في ردّ الأحاديث! وكيف يزعم وحالة أهل زمانه كما ذكرت، أن هذا العمل، أخذه الخلف عن السلف!

وإنما يريد الحاكم أن يقلّد الإمام مالك، فالأخذ بما عليه عمل علماء المسلمين، والإمام مالك، إنما يحتج بعمل تابعي التابعين، ومن أدركهم من صغار التابعين، وتابعي

التابعين، هم تلامذة كبار التابعين، والتابعون تلامذة الصحابة، والصحابة تلامذة النبي صلى الله عليه وسلم، إذا العهد بين مالك وبين النبي قريب، لم تكثر الأهواء، ولم ينجم أهل البدع، ولا عظمت البليّة بهم. فمالك ينقل بالسند الصحيح المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإن لم يسمي رجاله، فعمل جماهير التابعين دليل على صحة إسناد هذا الخبر أو ذاك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يُظن بالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، أنه يرد حديثاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس، ولكن الإمام مالك، يعلم أن في الحديث ناسخاً ومنسوخاً، فإذا رأى أهل المدينة يعملون بخلاف هذا الحديث، علم أن هذا الحديث منسوخ، وإن لم يبلغه نصٌّ بالنسخ في ذلك. فالعهد بالنبي صلى الله عليه وسلم قريب، ومن ينقل عنهم إما تلاميذ للصحابة أو تلاميذٌ لتلاميذهم.

فمن هم القوم الذين يحتج الحاكم النيسابوري بعملهم، ويعارض بعملهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم؟ أهم صحابة أم تابعون أم تابعي تابعين أم من أهل المدينة! إنما يحتج بعمل الخلوف المخالفين من أهل الأهواء والبدع، وبهذا ومثله، ضلت الأمم من قبلنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

باب النهي عن الصور والتماثيل

عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة، المصورون".

رواه البخاري.

وعن عبدالله بن عباس رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل مصوّر في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم".

رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرّة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة".

رواه البخاري.

وعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته.

وفي رواية: ولا صورة إلا طمستها.

رواه مسلم.

وعن أبي طلحة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل".

رواه البخاري ومسلم.

باب النهي عن الغلو في الصالحين

عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين".

رواه ابن ماجه.

وعن عبدالله بن عباس، أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله".

رواه البخاري.

وعن عبدالله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيّدنا. قال: "السيّد الله تبارك وتعالى". قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان".

رواه أحمد وأبو داود.

وعن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا محمد، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا. فقال: "يا أيها الناس، قولوا قولكم، ولا يستهوِكّم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله".

رواه أحمد والنسائي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم".

رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة.

وقوله: عيدا. أي: لا تعتادوه بالزيارة.

وعن محمد بن قيس، في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}. قال: كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم، كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون، دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر. فعبدوهم.

رواه الطبري.

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك!" قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: {ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: "أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟" قال: قلت: بلى. قال: "فتلك عبادتهم".

رواه الترمذي والطبراني.

وعن حذيفة بن اليمان، أنه سئل عن قوله تعالى: {ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} هل كانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، واذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه.

رواه الطبري.

وعن أبي البحتري في قوله تعالى: { ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} قال: أطاعوهم فيما أمروهم به من تحريم حلال وتحليل حرام، فعبدوهم بذلك.

رواه ابن أبي شيبة.

قلت: والغلو في الأنبياء والصالحين منهي عنه شرعا، كما أنه وسيلة من وسائل الشرك، لأن كثيراً من غلو في محبة الأنبياء والصالحين، ما زال يستجرهم الشيطان حتى نسبوا إليهم شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية، فوقعوا في الشرك الأكبر والعياذ بالله، كما قال الله تعالى عن النصارى في سورة النساء: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} فجعل سبب ادعائهم أن عيسى إله، غلوّهم في دينهم.

وليس من الغلو في الدين أن يتمسك العبد بتعاليم ربه ونبيّه صلى الله عليه وسلم، فإن المستهترين، يرون في التمسك بكتاب الله وسنّة نبيه والحفاظ عليهما غلوٌّ وتشدّد، وهذا من جهلهم وقلّة دينهم وعقلهم، وإنما مراد النبي بالغلو في الدين، التنطع في تعظيم الأنبياء والمشايخ، ومن التنطع أيضاً، أن يمتنع العبد عما أحلّ الله له، أو يكلّف نفسه من النوافل ما يشقّ عليه ولا يطيقه، فإن هذا الصنف من الناس، سريع انتكاسه، عجل انحرافه.

عن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

رواه البخاري.

ومن رأى ما وقع فيه كثير من الناس، خصوصاً طلاب العلم، من تعظيم العلماء وتقديسهم والغلو في ذلك، وتصديقهم فيما أخبروا به بدون تثبت ولا تحرص، بل بلغ بهم الأمر أنهم يوالون في علماءهم ويعادون فيم ويتعصبون لهم ويغضبون لهم، أدرك ضلال كثير من هؤلاء، وأنهم ليسوا طلاب علم، بل طلاب جهل وضلال وضياع، فإن طالب العلم لا يتعصب الا للحق ولا يركن إلا الدليل، ويعلم أن العلماء بشر فيهم الصالح والفاسد والطيب والخبيث والمصيب والمخطئ، فلا يظن فيهم ظن السوء ابتداء، ولكن لا يأتمنهم على دينه، ولا يأتمن على دينه إلا الله عز وجل.

باب في التبرك المشروع والتبرك الممنوع

والتبرك هو طلب البركة، أي: طلب الزيادة والنماء، في المال والأكل والشرب واللباس.

والتبرك منه مشروع ومنه ممنوع.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البركة من الله".

رواه البخاري.

قلت: فأي شيء ورد في القرآن أو السنة بأنه بركة، فيجوز التبرك به، كالتبرك بالأعمال الصالحة.

قال تعالى في سورة نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا}

والتبرك بشيء من آثار النبي صلى الله عليه وسلم، كشعره أو لباسه، وهذا لم يعد متاحاً، لأن آثار النبي لم تعد موجودة، وما نسب إليه من آثار كلها مزيّفة مصنوعة.

وكالتبرك بدعاء الصالحين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عمر رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، وقال: اللهم إنّا كنّا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون.

رواه البخاري.

وكالتبرك بماء المطر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر، فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى

أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: "لأنه حديث عهد بربه تعالى".

رواه مسلم.

أما التبرك الممنوع، فهو التبرك بأي شيء لم يرد الشرع بأنه بركة، كالتبرك بالأشجار أو الأحجار أو إنسان أو حيوان.

عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: {ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰه كَمَا لَهُمْ ءَالِهَة} [الأعراف] والذي نفسي بيده، لتركبن سُنّة من كان قبلكم".

رواه أحمد والترمذي.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة وزاد: "ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح". وهي زيادة باطلة، من أوهام الرواة، فأبو واقد الليثي أسلم قديماً قبل حنين، وهاجر إلى المدينة.

وقيل أن أبا واقد، إنما روى هذا الخبر عن الحارث بن مالك، رواه ابن هشام في السيرة عن محمد بن إسحاق، وأظنه ابن البرصاء الليثي، وابن البرصاء لا يعرف متى أسلم، لكنه لم يسلم يوم الفتح، بل قبله، لأنه روي عنه ما يفيد أنه حضر فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإن صحّ أن المراد بالحارث بن مالك في رواية ابن إسحاق، الحارث بن البرصاء، فهذا دليل على أن ابن البرصاء أسلم قبل فتح مكة بزمن يسير.

قلت: وقد كان الصحابة متوافرون، ولم يؤثر عن أحد منهم أنه كان يتبرك بأبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي، وهم خير خلق الله بعد الأنبياء، فمن باب أولى أن غيرهم لا يستحق أن يفعل به ذلك.

فإن احتج محتج بجواز ذلك، بما كان يفعله الصحابة من تبركهم بآثار النبي صلى الله عليه وسلم؟

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قد علمنا أنه بركة، لكوننا علمنا باطنه كما علمنا ظاهره، وبما ورد عنه من الأخبار بذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم يبصق في البئر، ويضعه يده في الماء، ويقتسم الصحابة شعره وثوبه، يتبركون بذلك، وهو يراهم ولا يمنعهم، بل إنه أشعر إحدى بناته حقوه، ولم يكن أحد يفعل ذلك بأبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي، وهم خيرة الأولياء والأصفياء، فدل هذا على أن هذا خصيصة للأنبياء، لا يشاركهم فيها إلا دعيّ كذاب.

باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي أمتي قراؤها

عن عبدالله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعصمة بن مالك، رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أكثر منافقي أمتي قرّاؤها".

رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني.

قلت: والقرّاء هم العلماء، والنفاق المذكور في الحديث هو الرياء، يراءون بعلمهم وأعمالهم، وجعلوا الدين عرضاً لأهوائهم، فهذا الحديث يدل على أن أكثر العلماء أهل رياء ونفاق، وأنه لا يسلم من ذلك منهم إلا القليل، نعوذ بالله من الضلال.

باب قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا} قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

رواه الطبري.

وعن عبدالله بن عباس قال: يريد، إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني.

رواه البغوي.

وعن قتادة بن دعامة، في قوله: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا} قال: كان يقال كفى بالرهبة علما.

رواه الطبري.

وعن صالح بن أبي الخليل في قوله: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا} قال: أعلمهم بالله أشد له خشية.

رواه ابن أبي حاتم.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: الإيمان من خشي الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما أسخط، ثم تلا: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا}

رواه ابن أبي حاتم.

قلت: وفي هذا بيان، أن العالم، ليس من كثر حفظه واطلاعه فقط، بل يجب أن يجمع مع ذلك العمل بما علم، ولم يبتدع، فذاك العالم حقاً.

باب أن أكثر العلماء هم سبب تبديل شرائع الله

عن يزيد بن عميرة، أنه سمع معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كل مجلس: هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه الرجل والمرأة والحُرّ والعبد والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟! فيقول: ما هم بمتّبعي، حتى ابتدع لهم غيره. فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة".

رواه الآجري في الشريعة.

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي، أطرح هذا الوثن من عنقك". قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: {ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: "أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟" قال: قلت: بلى. قال: "فتلك عبادتهم".

رواه الترمذي والطبراني.

وعن حذيفة أنه سئل عن قوله: {ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} هل كانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه.

رواه الطبري.

وعن أبي البختري في قوله: {ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ} قال: أطاعوهم فيما أمروهم به، من تحريم حلال، وتحليل حرام، فعبدوهم بذلك.

رواه ابن أبي شيبة.

قلت: فعلى المسلم أن يكون حريصاً، وأن يتثبت عند سؤال العلماء فيما يفتونه به من أمر دينه، بمطالبتهم بالدليل من الكتاب والسنة، فإن كان لقولهم حجة في كتاب الله تعالى أخذ به وإلا تركه، ولا يعتمد على أراء العلماء، فإن رأي أكثر العلماء فيه الهلكة، وليسأل العبد ربه الهداية دائما.

باب تعظيم الله عز وجل

وقال تعالى في سورة البقرة: {وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ}

وقال تعالى في سورة البقرة: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ}

وقال تعالى في سورة آل عمران: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

وقال تعالى في سورة المائدة: {فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ}

وقال تعالى في سورة الأنبياء: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ}

وقال تعالى في سورة الشعراء: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ}

قلت: فتجعل رهبتك من الله أعظم الرهبة، وحبك لله أعظم الحب، وخوفك من الله أعظم الخوف، وخشيتك من الله أعظم الخشية، ورغبتك في الله أعظم الرغبة، وخشوعك لله أعظم الخشوع، وخضوعك لله أعظم الخضوع.

قال تعالى في سورة الزمر: {وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثري على إصبع، وسائر الخلائق

على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيْعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخنع اسم عند الله، رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله".

رواه البخاري.

وأخنع، يعني: أوضع.

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

قلت: ومثله، سلطان السلاطين، وقاضي القضاة، وأشباه ذلك.

وعن أبي هريره رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي.

رواه البخاري.

وهذا نهي كراهة، لا نهي تحريم، فقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز، عن نبيّه يوسف عليه السلام، أنه وصف ملك مصر بربّ الساقي، وكذلك وصفه الله تعالى، فقال في سورة يوسف: {وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم، يربّي في المسلمين تعظيم الله تعالى، وعدم مساواة غيره به، حتّى في الألفاظ والعبارات، فإن يوسف عليه السلام وأنبياء الله تعالى، يعلمون من قدر الله تعالى، ما لا يعلمه غيرهم، فلا يقاس غيرهم بهم.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

رواه أبو داود والنسائي.

وعن جابر بن الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يسأل بوجه الله إلا الجنّة".

رواه أبو داود.

وعن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك".

رواه مسلم.

قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وأخرته.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنّا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله، سبحان الله"، فما زال يسبح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: "ويحك، أتدري ما تقول! إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد".. الحديث.

رواه أبو داود.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم

قال تعالى في سورة النحل: {وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

قلت: العهد، هو: الذمة.

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، فقال: "اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال-، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا".

رواه مسلم.

باب النهي عن سب الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر وأنا الدهر، أقلّب الليل والنهار".

وفي رواية: "لا تسبّوا الدهر، فإن الله هو الدهر".

رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قال: لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلّب ليله ونهاره، وإذا شئت قبضتها".

رواه الطبري.

قلت: والدهر عند العرب، هو الزمان، يسبّون الزمان، لما يجري عليهم فيه من المِحن والإحَن، والزمان ليس له تأثير في هذا، إنما يجري هذا عليهم بأمر من الله تبارك وتعالى، ومشيئة منه، فإذا سبّوا الدهر بسبب ذلك، فإنما يقع سبّهم على الله تعالى، لأنه الذي يصرّف هذه الأمور.

باب النهي عن سب الريح

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الريح من رَوْح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها".

وفي رواية: "لا تسبوا الريح، فإنها من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها".

رواه أبو داود وابن ماجه.

قوله: "من رَوْح الله" أي: من رحمة الله.

وقوله: "تأتي بالرحمة" أي: بالغيث والراحة والنسيم.

وقوله: "وتأتي بالعذاب" أي: بإتلاف النبات والشجر وهلاك الماشية وهدم البناء.

قلت: فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الريح، لأنها مأمورة بما تجيء به من رحمة أو عذاب، وأنها مسخرة مذللة مصرفة بتدبير الله تعالى وتسخيره، يرحم بها من يشاء عباده، ويعذب بها من يشاء، فالذي يسب الريح، إنما يقع سبه على من صرفها.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنها، أن رجلاً لعن الريح عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "لا تلعن الريح فإنها مأمورة، من لعن شيئاً ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه".

رواه أبو داود والترمذي.

باب التوكل على الله عز وجل

قال تعالى في سورة آل عمران: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

وقال تعالى في سورة آل عمران: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}

وقال تعالى في سورة يونس: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ}

وقال تعالى في سورة الطلاق: {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب". ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما الذي تخوضون فيه؟". فأخبروه فقال: "هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون؛ وعلى ربهم يتوكلون". فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم". ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سبقك بها عكاشة".

رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك؛ لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون".

رواه مسلم.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أيضا، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي رواية، قال: كان آخر قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

رواه البخاري.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لو أنَّكم تتوكلون على الله عز وجل حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطانًا".

رواه الترمذي.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما".

رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز".

رواه مسلم.

قلت: فهذه هي طريقة الأنبياء والصالحين، لا يتوكلون إلّا على الله عز وجل وحده لا شريك له، والله ما وجدنا الله عز وجل ولا أنبيائه، يأمرون الناس بالتوكل على الملائكة، أو على رجال الغيب، أو على أحد من الأنبياء أو الصالحين، وإنه لا يدعو الناس إلى ذلك، إلا داعية من دعاة السُبُل الشيطانية، الذين يدعون الناس إلى النّار.

باب وجوب إخلاص العمل لله عز وجل

فلا تبتغي بعملك شيئا من أغراض الدنيا، من مال أو جاه أو شهرة.

قال تعالى في سورة الزمر: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}

وقال تعالى في سورة الكهف: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه".

رواه مسلم.

وفي رواية عند ابن ماجه: "وأنا منه بريء وهو للذي أشرك".

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر". قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنت تراؤون في الدنيا هل تجدون عندهم جزاء".

رواه أحمد.

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أيها الناس إياكم وشرك السرائر". قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: "يقوم الرجل ليصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فتلك شرك السرائر".

رواه ابن أبي شيبة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أح؟ قال بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك. ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة.

رواه الترمذي.

باب أن الإسلام والتوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله العباد عليها

قال تعالى في سورة الروم: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيف□اۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰ□لِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

وعن عياض بن حمار الجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فيما يرويه عن ربه عز وجل: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي: كلُّ مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا".. الحديث.

رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على الفطرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خرجت من النار فنظروا فإذا هو راعي معزى.

رواه مسلم.

فقوله صلى الله عليه وسلم للمؤذن: "على الفطرة" دليل واضح، على أن الفِطرة هي دين الإسلام، ودين التوحيد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو مجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟".

رواه البخاري.

قلت: ولم يقل ويؤسلمانه، فدل ذلك على أن دين الفطرة هو دين الإسلام، ولا يعني هذا أن العبد عندما يولد يكون عارفا بشرائع الإسلام، وإنما المراد أن العبد عندما يولد يكون مفطوراً على ثلاث مسائل: آن له رباً، وأن ربه في السماء، وأن ربه هو الملجأ والمفزع والملاذ عند النوائب، وأن ربه بيده كل شيء، وأنه قادر على التمييز بين ما هو من فعل الخير وما هو من فعل الشر، وبين ما هو حسن وما هو قبيح، وإن كان معرفة بعض الحسن والقبيح لا يمكن إلا من خلال الوحي، إلا أن منه ما يمكن تمييزه بالعقل الصحيح والفطرة السليمة.

باب البراءة من الشرك وأهله

قال تعالى في سورة الأنعام: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}

قال مقاتل بن سليمان: من بلغة القرآن من الجن والإنس فهو نذير له.

رواه البغوي.

وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً صلى الله عليه.

رواه البغوي.

وقال تعالى في سورة الأنعام: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}

وقال تعالى في سورة التوبة: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}

وقال تعالى في سورة هود: {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}

وقال تعالى في سورة الشعراء: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}

وقال تعالى في سورة الزخرف: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

وقال تعالى في سورة الممتحنة: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}

وقال تعالى في سورة المجادلة: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

فويلٌ للذين يوالون ملاحدة المتكلمين ووثنيوا الصوفية والرافضة، ويصفون كهنتهم بالأئمة والحفّاظ والعلماء، ويثنون عليهم، ويوصون تلامذتهم بالجلوس إليهم، وتلقي العِلم عنهم، وينسخون كتبهم، وينشرونها، ويوصون بها، مع علمهم بما فيها من الكفر الأكبر، ويتنمّرون لهم، ويذبّون عنهم، بل ويوالون فيهم ويعادون فيهم.

باب حكم الاستغفار للمشركين

قال تعالى في سورة التوبة: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}

وقوله: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} أي: مات على الشرك؛ لأنه قبل الموت لم يكن يدري بماذا يختم له، فقد يختم له بالإسلام، وأما إذا مات على الشرك، فهذا يعني أنه عدو لله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي".

رواه مسلم.

وعن عصمة بن راشد عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله رجلاً أستغفر لأبي هريرة ولأمه. قلت: ولأبيه. قال: لا، إن أبي مات وهو مشرك.

رواه الطبري.

قلت: هذا فيمن مات على الشرك، أما من لم يمت فيجوز الدعاء له بالمغفرة والهداية.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

رواه البخاري.

فلو لم يكن الدعاء للمشركين جائز في حياتهم وقبل مماتهم، لما دعا لهم نبيهم بالمغفرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: "اللهم اهد دوساً وأت بهم".

رواه البخاري.

باب فضل التوحيد

قال تعالى في سورة الأنعام: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}".

رواه البخاري.

وقال تعالى في سورة النور: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنّة حق والنّار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".

وفي رواية: "من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء".

رواه البخاري.

قلت: وقوله "وروح منه" أي: أن روحه من الله، كما أن سائر الخلق أرواحهم من الله تعالى، فأرواح الخلق كلها من الله عز وجل، أوجدها مما شاء سبحانه وتعالى، فأراد

النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤكد أن عيسى بن مريم عليه السلام ليس إلهاً كما يدعي النصارى، وإنما هو خلق من خلق الله، كسائر المخلوقات.

وقول الحواريين لعيسى: يا روح الله. إقرار منهم بأنه ليس إله، بل مخلوق، وأن روحه من الله، كما أن سائر الخلق أرواح من الله.

وعن عبادة الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، حرّم الله عليه النّار".

رواه مسلم.

وقوله: "حرّم الله عليه النّار" أي: الخلود فيها.

وعن عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قد حرّم على النّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله".

رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقُرابها مغفرة".

رواه الترمذي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: "يا معاذ بن جبل". قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ". قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار". قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: "إذا يتكلوا".

قال أنس: وأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

رواه البخاري ومسلم.

باب فضل من حقق التوحيد

عن حُصين بن عبد الرحمن قال: كنتُ عند سعيد بن جُبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقَضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا، ثم قلتُ: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغْتُ، قال: فما صنعتَ؟ قلت: ارتقيتُ، قال: فما حَمَلك على ذلك؟ قلت: حديث حدَّثَناه الشعبي، قال: وما حدَّثَكم؟ قلتُ حدثنا عن بريدة بن الحُصيب أنه قال: "لا رُقْية إلا مِن عَيْن أو حُمَة"، قال: قد أحسَن مَن انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عُرِضت عليّ الأُمم، فرأيتُ النبي ومعه الرَّهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننتُ أنهم أمَّتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرتُ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمَّتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب". ثم نهض فدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحِبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدُوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال: "هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يَكْتَوُون، ولا يَتَطَيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون". فقام عُكاشة بن مِحصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت منهم". ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سَبَقَك بها عكاشة".

رواه البخاري ومسلم.

فتحقيق التوحيد، يكون بتجريد التوحيد من كل أنواع الشرك الأكبر والأصغر، ومجاهدة النفس، في أتباع أمر الله عز وجل، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، والانتهاء عمّا نهيا عنه.

باب الشفاعة لأهل التوحيد بعد إذن الله ورضاه

قال تعالى في آية الكرسي: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}

وقال تعالى في سورة الأعراف: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}

وقال تعالى في سورة يونس: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ}

وقال تعالى في سورة طه: {يَوْمَئِذٍ لّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا}

وقال تعالى في سورة سبأ: {وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}

وقال تعالى في سورة الزمر: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

وقال تعالى في سورة النجم: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى}

قلت: فلا يمكن لأحد من خلق الله عز وجل، لا ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح، أن يشفع لأحد من خلق الله، إلا بعد أن يأذن الله له بذلك، ويرضى سبحانه عن المشفوع له.

قال تعالى في سورة البقرة: {وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}

وقال تعالى في سورة المدثر: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}

وعن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه – أو نفسه – ".

رواه البخاري.

باب وجوب متابعة هدي النبي صلى الله عليه وسلم والنهي عن الابتداع في الدين

قال تعالى في سورة المائدة: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}

وعن عائشة وضي الله الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

رواه البخاري.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسم كان يقول في خطبته: "إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار".

رواه النسائي.

وعن يزيد بن عميرة، أنه سمع معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كل مجلس يجلسه: "هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتّبعوني وقد قرأت القرآن! فيقول: ما هم بمتّبعي حتى أبتدع لهم غيره. فإيّاكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة".

رواه الآجري في الشريعة.

وقال عابد الحرمين، الإمام الفضيل بن عياض: "إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالص، ولا يقبله إذا كان خالصا له إلا على السنة".

رواه النسائي.

قلت: وعلى هذا، فلا يجوز لأي كان، أن يفسّر القرآن والسنّة برأيه، ولا أن يزيد في العبادات التي فرضها الله عز وجل شيئاً لم يرد في القرآن والسنّة، ولا أن ينقص منها شيئاً ورد في القرآن والسنّة، يأتي بالعبادات على وجهها، فمن فسّر القرآن والسنة برأيه، فهو مبتدع ضال مضل، ومن زاد في العبادات التي فرضها الله عز وجل أو نقص فهو ضال مضل، أما النوافل، فللعبد أن يفعل ما يشاء، شرط ألا يدعو لها أحداً، ولا يزعم أنها واجبة في دين الله عز وجل.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله". ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: "هذه سُبُل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه". ثم قرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام].

رواه أحمد.

قلت: فلا يزيد العبد في الدين ولا ينقص، وكما أن الأمم من قبلنا ظهرت فيهم البدع والضلالات، فقد ظهرت أيضاً في هذه الأمة، وتحقق ما ذكره معاذ بن جبل رضي الله عنه، فعلى المسلم الحريص على دينه، ألّا يقلد أحداً دينه، وإنما يحاول أن يقتفي هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي الصحابة رضوان الله عليهم، بقراءة ما صحّ من الأخبار عنهم، والعمل بها، وترك ما أحدثه المحدثون من الآراء والأهواء، التي لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته رضوان الله عليهم.

باب الصبر على دين الله

قال تعالى في سورة البقرة: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}

وقال تعالى في سورة البقرة: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}

وقال في سورة البقرة: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}

وقال تعالى في سورة الرعد: {وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}

وقال تعالى في سورة النحل: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}

وقال تعالى في سورة الكهف: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}

وقال تعالى في سورة الإنسان: {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}

باب الصبر على الأذى في دين الله

قال تعالى في سورة آل عمران: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}

وقال تعالى في سورة آل عمران: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}

وقال تعالى في سورة الأنعام: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ}

وقال تعالى في سورة الأعراف: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}

وقال تعالى في سورة إبراهيم: {وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}

وقال تعالى في سورة القصص: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}

وعن خباب بن الأرتّ قال: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل ليحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

باب التواصي بالحق والصبر

قال تعالى في سورة البلد: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

قال الإمام محمد بن أبي زمنين: {وَتَوَاصَوْا بِالصبرِ} على ما أمرهم الله به وعمّا نهاهم عنه، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ بالتراحم فيما بينهم.

وقال تعالى في سورة العصر: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

عن قتادة بن دعامة: {وتَوَاصَوْا بِالحَقِّ} قال: كتاب اللَّه. {وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ} قال: طاعة اللَّه.

رواه ابن أبي حاتم.

وقال الإمام محمد بن أبي زمنين: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} بالتوحيد، {وَتَوَاصَوْا بِالصبرِ} على الفرائض.